الخوارج والباطنية في بلاد الكرد من منظور سبط ابن الجوزي
دراسة تاريخية تحليلية

م عبدالخالق عبدالله عثمان
أ.د- فرست مرعي اسماعيل
قسم التأريخ - فاكلتي الآداب - جامعة سوران
قسم التأريخ - كلية العلوم الانسانية - جامعة زاخو

abdulkhalq.othman@soran.edu.iq
firsat.ismail@uoz.edu.krd

الملخص

يعدّ كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) من أمهات كتب التراث ويعتبر موسوعة تاريخية مهمة تضمنّت أحداثا ووقائع كثيرة لفترات طويلة، في هذا البحث يسلّط الضوء على ما أورده السبط عن فرقتين كان لهما تأثير واضح على الدولة الاسلامية، وهما: الخوارج والبابكية. فالخوارج فرقة تجاوزت الحدود النظرية من الآراء والمقالات الفلسفية الى تطبيقات عملية تجاه المخالفين لهم،فهم أول جماعة فعلية انشقّت عن المسلمين وتفرّدت بقرارها السياسي أولا، ثم بعد ذلك بعقيدتها الدينية، فدافعوا عن أنفسهم وقاوموا السلطة والمخالفين لهم فترات طويلة. أما البابكية: فهي حركة عقائدية ثارت على الخلافة العباسية وفشلت قواتها العسكرية في القضاء عليها الاّ بعد عشرين عاما استطاعت خلالها هذه الحركة أن توسّع في عدد أتباعها وكذلك في رقعتها الجغرافية حتّى أضحت تمثّل تهديدا فعليا للخلافة العباسية من خلال زعزعة استقرارها.الكلمات المفتاحية: الفرقة، الخوارج، البابكية، الباطنية، العباسية.

المقدمة

يعد كتاب مرآة الزمان للمؤرخ الشهير سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة٦٥٤هـ/١٢٥٦م) من الموسوعات المهمة في التاريخ الإسلامي، حيث سلطت الضوء على محطات مهمة في التاريخ الإسلامي، وكان لها إسهام كبير في التاريخ الإسلامي العام مثل شقيقاتها الاخرى، ولكنها قلما أشارت الى تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية؛ فإن تطرقت الى ذلك فعلى استحياء.هذا البحث سيحاول التطرق الى فرقتين مهمتين كانت لهما أدوار مهمة في مسيرة التاريخ الإسلامي لحقب طويلة تجاوزت القرنين من عمر الخلافة الإسلامية. ويظهر أن سبط ابن الجوزي لم يكن على شاكلة جده ابن الجوزي (المتوفى سنة٥٩٧هـ/١٢٠١م) في التمسك بمذهب واحد؛ وإنما انتقل الى مذاهب عديدة، وكانت له وجهات نظر مختلفة عن جده في النظر الى الفرق المخالفة لنهج جده. هذه الخاصية في النظر الى الفرق والمذاهب الإسلامية من منظور مؤرخ موسوعي كبير كسبط ابن الجوزي، ستكون بلا شك عاملًا مهمًا في النظر الى الفرق والمذاهب بمنظور آخر غير المنظور الاعتيادي؛ من قبل غالبية المؤرخين ومؤرخي الملل والنحل في النظر الى الفرق المخالفة لطريقته، سواء من الناحية السياسية أو الاعتقادية أو المذهبية.

تعريف الفِرقة

استعمل علماء الكلام القدامى مصطلح الفرقة في معنى فضفاض، فقد أطلقوه على الاحزاب السياسية ذات القيادة والبرنامج المعارضين للسلطة وبرنامجها، بصرف النظر عن استمرار تلك الاحزاب في الزمن (التاريخ)، أو عدم استمرارها، مثل: الأزارقة والنجدات من فرق الخوارج، والبيانية والمغيرية من مخلفات الفرقة الكيسانية (الشيعة الغلاة). وعلى الفرق الدينية المتمتعة بقيادة وتنظيم وفقه خاص بها، مثل: الشيعة الإمامية الاثني عشرية، والإسماعيلية. وعلى الجماعات الفكرية الممثلة لتيار ديني خاصٍ، دون أن تكون لها بالضرورة زعامة سياسية خاصة، مثل: المعتزلة، وأهل السنة والجماعة.(بو هلال،٢٠١١، ١٧٧ – ١٧٨).وعلى الشخصيات السياسية التي افترقت عن أحزابها الاصلية في بعض المقالات(=العقائد)، وإن لم يقم دليل تاريخي على أنها أسست أحزابًا موازية، مثل: الشيبانية والاخنسية والمعبدية والصلتية من الخوارج، وعلى الشخصيات التي اشتهرت ببعض المقالات (العقائد والافكار) من دون أن تعمد الى تأسيس فرقة حقيقية، مثل: الجهمية، والتي تميزت ضمن فِرقِها بمقالات خاصة من دون أن تعلن الانفصال عنها، أو التنكر لشيوخها السابقين، مثل: النظامية والعلافية والبهشمية من فرق المعتزلة، وعلى المقالات التي أخذ بها بعض الاشخاص، أو بعض التيارات من دون أن يتخذوا منها مقالة مركزية يصرحون بها ويعلون من شأنها، مثل: فرقتي: الجبرية والمشبهة. (بو هلال،٢٠١١، ١٧٨).

كيف صنف علماء المِلَل والنِحَل المسلمون الفِرقة

اختلف علماء الملل والنحل في كيفية تمييز الفرق والأحزاب الإسلامية بعضها عن بعض، أي: بعبارة أخرى لم يكن لهم تعريف واضح محدد وضبط دقيق لمرتكزاتها وأنواعها. فالفِرق عند القدامى أمر جاهز ومفروغ منه؛ لذلك اكتفوا ببيان تأريخ نشؤها وإستعراض أسمائها ومقالاتها(عقائدها)، وبيان كيفية انقسام بعضها عن بعض. لذا يعد المتكلم الاشعري"عبدالقاهر البغدادي" (المتوفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م) أول من رسم الحدود الفاصلة بين الفِرق في كتابه (الفرق بين الفرق)، باعتماد معيار أو ميزان: وحدة المقالة (العقيدة) والتكفير، فذهب الى أن كل جماعة تجتمع على مقالة واحدة في أصول الدين وتُكَفِر من عداها بسبب مخالفتها، تخرج منها فرقة جديدة = بناءً على معيارَي: وحدة الفكر(العقيدة)، والتكفير.(٢٠٠٥، ١٣– ١٤، ٢٠ –٢٨، ١٧٧–١٨٠، ٢٣٤–٢٣٧).غير أن (البغدادي) قضى بأن فرقة أهل السنة والجماعة فرقة واحدة بالرغم من اشتمالها على أصناف: المُحَدثين، وأهل الرأي، والفقهاء، والقراء، والمتكلمين، ذلك أن هؤلاء:

" كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع(الخالق) وصفاته وعدله وحكمته وفي أسمائه وصفاته وفي أبواب النبوة والإمامة وفي أحكام العقبى(القيامة) وفي سائر أصول الدين". واستدل على وحدتهم بأنهم وإن اختلفوا في " الحلال والحرام من فروع الاحكام" فلَيْسَ بَينهم: " تضليل وَلَا تفسيق". (٢٠٠٥، ٢٣٤ – ٢٣٧).أما فرق الخوارج وفرق الروافض من زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة، فينبغي عدُها فِرقًا متباينة؛ لأن " كل فرقة منها تكفر سائرها".(٢٠٠٥، ١٧٧– ١١٨٠، ٢٣٤ – ٢٣٧).وفيما قال أبو الحسن الاشعري (المتوفى سنة٣٢٤هـ/٩٣٦م) في كتابه: (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين): (اختلف المسلمون عشرة أصناف: الشيع، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والضرارية، والحسينية، والبكرية، والعامة، وأصحاب الحديث، والكُلابية أصحاب عبدالله بن كُلاب القطان). (د،ت،٥).وتكلم الشهرستاني(ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) في كتابه: (المِلَل والنِحَل) "على الفِرق الأصول"، وحصرها في أربع: القدرية، والصفاتية، والخوارج، والشيعة. (٢٠٠٩، ٦).وأشار ابن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) في كتابه (الفِصَل في المِلَل والنِحَل) الى "رؤوس الفرق" وحصرها في خمس: أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج.(١٩٩٩، ٣٦٨/١ – ٣٧٢).أما الرازي (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) فقد دون في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) في عشرة أبواب تتضمن "أمهات الفرق والملل والنحل"، وهي: المعتزلة، والخوارج، والروافض، والغلاة، والكَرامية، والجبرية، والمرجئة، والصوفية، والمتظاهرون بالإسلام (=الباطنية)، والخارجون على الإسلام (اليهود والمجوس والنصارى والصابئة).(١٩٨٢، ٣٨).

المبحث الأول الخوارج

الخوارج: اسم لحزب سياسي و فرقة دينية، و قد اختلف المؤرخون في سبب تسميتهم بـ(الخوارج)، فيرى مخالفوهم من كتاب الفرق و المقالات: أنهم سُموا(الخوارج): لخروجهم على الناس أو على الدين، أو عن طريق الحق، أو على الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). (ابن منظور،١٩٩٩،2/٥١). ويرى الشهرستاني (المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م): أن اسم (خارجي) يطلق على: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء أكان الخوارج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان"(٢٠٠٩، ١٠٥/١). أما الخوارج فيرون: أن اللفظ هو: من الخروج في سبيل الله مستشهدين بقوله تعالى:{ ... **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**} ،(سورة النساء، الآية ١٠٠).

نشأة الخوارج:لقد أطلق لفظ الخوارج على أولئك النفر الذين خرجوا على حكم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م؛ إذ اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي الى الكفر؛ لأنه أي: علي(رضي الله عنه)؛ قبل التحكيم في أمر بدأ هو وجيشه الجهاد في سبيله والاستشهاد من أجله (عرفان، ١٩٦٧، ٩٠)، وكانوا يرون: "أن الفصل في موضوع خلافة النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يصح أن يوكل الى البشر، بل ينبغي الاحتكام فيه الى الحرب والكفاح وسفك الدماء. (كولدزيهر،١٩٤٦، ١٩٠). ومن ثم طلبوا من علي(رضي الله عنه) أن يقر على نفسه بالخطأ، بل بالكفر؛ لقبوله التحكيم، ويرجع عما أبرم مع معاوية بن أبي سفيان من شروط؛ فإن فعل عادوا إليه وقاتلوا معه؛ فأبى علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) عن ذلك، وكان موقفه في منتهى المسؤولية، فكيف يرجع عن اتفاق أمضاه، والإسلام يأمره بالوفاء بالعهود، ولو رجع؛ لتفرق عنه أكثر أصحابه، ثم كيف يقرعلى نفسه الكفر، ولم يشرك بالله شيئا؛ فاذا خطب في المسجد قاطعوه بـ"لا حكم الا لله" فتجاوبت بها أنحاء المسجد، وراح أحدهم يمثل بقوله تعالى:{ **وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ**}،(سورة الزمر، الاية٦٥)، وهكذا اجتمع حوالي اثني عشر الف في منطقة حروراء الواقعة على الطريق المفضي الى المدينة المنورة والتي تبعد عدة كيلومترات عن مدينة الكوفة عاصمة الخلافة الإسلامية، معلنين: تمردهم وعصيانهم ضد علي بن أبي طالب؛ فلذلك عندما خرج هؤلاء من جيش علي في أعقاب معركة صفين، سموا: بالمحكمة الاولى، وعند اجتماع هؤلاء في منطقة حروراء، أطلق عليهم لقب (الحرورية). (الشهرستاني، د، ت، ١١٥، عمارة، ١٩٨٤، ١٤٠).وكان الخوارج يطلقون على أنفسهم اسم الشراة؛ لأنهم يزعمون أنهم باعوا أنفسهم في سبيل الله؛ استنادًا إلى قوله تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}. (سورة التوبة، الاية١١١).ومهما يكن من أمر فان اسم الخوارج في معناه الأول الذي يشير الى انشقاق ومفارقة الجماعة، أصبح الاسم السائر على هذه الجماعة. واذا كان اسم الخوارج قد أطلق على جماعة معينة ظهرت في الحقبة التي أعقبت التحكيم؛ فإن الاتجاه الخارجي الذي

مثله هؤلاء الخوارج وردت الإشارة اليه في أحاديث عديدة، وصحت هذه الاحاديث من عشرة أوجه كما ذكر ذلك إمام أهل السنة والجماعة: أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) وأخرجها مسلم في صحيحه، وأخرج البخاري طائفة منها. (ابن تيمية، ١٩٩٥، ٣/٢٧٩؛ ابن يحيى،٢٠٠٢، ٢٠).؟؟؟

ألقاب الخوارج لفرقة الخوارج عدة ألقاب أطلقت عليهم، ومنها:

١-المحكمة، لاحكم إلا لله.

٢-الشراة، شروا أنفسهم في سبيل الله.

٣-الحرورية، لاجتماعهم في منطقة حروراء الواقعة على بعد عدة كيلومترات من مدينة الكوفة على طريق المدينة المنورة.

٤-المارقة، لمروقهم من الدين كما يمرق السَهم من الرِمية استنادًا إلى قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم):[إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرِمية].(الاشعري، د، ت، ١٢٧- ١٢٨؛ البغدادي، ٢٠٠٥، ٢٢، ٦١؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩، ١٠٧ – ١١٠).

مبادئ الخوارج

نشأ الخوارج نشأة سياسية وظلوا رغم الاختلاف في المكان الذي يعلنون فيه الخروج، وفي الزمان الذي يتم فيه الخروج، وفي التباين إزاء بعض المسائل الفكرية بين تياراتها: أوفياء ومجمعين على القضايا السياسية التي استدعت نشأة فرقتهم، وأعطت هذه الفرقة ما يميزها عن سواها من فرق الإسلام.(معروف، ١٩٧٧، ١٣ – ١٩).

١-فهم مع إمامة الصالح بصرف النظر عن نسبه ولونه، على اساس أن اهل السنة والجماعة يؤكدون على قرشية الأمير.

٢-وهم مع الثورة المستمرة والخروج الدائم وتجريد السيف ضد أئمة الجور.

٣-وهم في تقييم التاريخ السياسي الإسلامي مع إمامة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب(رضي الله عنهما)، ومع الحقبة الأولى في إمامة عثمان بن عفان(٢٣-٣٠هـ) ، وإمامة علي بن ابي طالب قبل التحكيم (٣٥-٣٧هـ).

٤-وهم يكفرون أصحاب الجمل(عائشة أم المؤمنين، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام)، والحكمين: أبا موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وكذلك معاوية بن ابي سفيان.

٥-وهم مع الاختيار والبيعة كطريق لنصب الإمام، وضد فكرة الشيعة في الوصية على الإمام علي بن أبي طالب وأولاده من بعده.

٦-فهم يرون أن الإمامة من الفروع، ويكفرون قول الشيعة أنها من أصول الدين، فمنحدرها عندهم ليس الكتاب والسنة وإنما الرأي.

٧-وهم يرون أن مرتكبي الذنوب الكبيرة كافرون مخلدون في النار.

٨-وهم يقولون: بالعدل والتوحيد، والوعد والوعيد، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعموما: فإن للخوارج تقاليد اشتهرت عنهم في القتال.(الاشعري، د، ت، ٨٦ -٨٧،١٢٧ – ١٣٠؛ البغدادي، ٢٠٠٥، ٦١ – ٦٤؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩، ١٠٦ -١١١؛ عمارة، ١٩٨٤، ١٣٩ – ١٤٠).

نظرية الخوارج

عرف الخوارج بهذا الاسم بعد التحكيم في معركة صفين عام ٣٧هـ/٦٥٧م، وكانوا قبلها من أشد أنصار الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)، وحضروا معه معركتي: الجمل(٣٦هـ/٦٥٦م) وصفين، ولكنهم انشقوا عليه بعدها، ورفضوا التحكيم، وحاول علي بن ابي طالب إقناعهم وردهم الى الجماعة، ولكنهم تشبثوا بموقفهم، وبغوا في شقاقهم وتطرفهم، حتى عاثوا في الأرض فسادًا، مما جعل عليًا يقاتلهم ويقضي على معظمهم في معركة النهروان (٣٨هـ/٦٥٨م).وهم لا يرضون عن تسميتهم بالخوارج؛ لأن هذه التسمية أطلقها عليهم خصومهم؛ لخروجهم على عليٍّ بن ابي طالب، وعلى جماعة المسلمين. أما هم فيسمون أنفسهم: الشراة؛ لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى، على أن لهم الجنة، يشيرون بذلك الى قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: ١١١]، ويسمون أيضاً: بالمحكمة؛ لأنهم قالوا: لا حكم إلا لله. وكان يطلق عليهم أيضا: الحرورية؛ نسبة الى قرية حروراء التي انحازوا إليها بظاهر الكوفة؛ لأول خروجهم على علي بن أبي طالب، ولما كان سبب خروجهم هو قبول علي بن أبي طالب للتحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، فقد صاغوا لأنفسهم نظرية في الخلافة تقوم على مبدأين عامين يجمعان بين فرقهم المتباينة. (الريس، ١٩٧٦، ٦٦؛ عمارة، ١٩٨٤، ١٤٠ – ١٤٤).المبدأ الأول: وضعوا نظرية في الخلافة وهي أن الخلافة ليست وقفا على قريش؛ كما يذهب أهل السنة (الماوردي،٢٠٠٨، ٥-٦)، بل تجوز لكل مسلم يكون أهلاً لها حتى ولو كان عبدًا حبشيًا، ويجب أن يكون الخليفة باختيار حر من

المسلمين، وانه اذا تم اختياره لا يصح له ان يتنازل عنها أو يقبل التحكيم، وينطبق ذلك على فرقة الأزارقة، (عمارة، ١٩٨٤، ١٤٠ – ١٤١؛ النجار،١٩٧٧، ٨٧)، ويجب أن يخضع خضوعا تامًا لما أمر الله، وإلا وجب عزله.وفي ضوء هذا المبدأ اعترفوا بخلافة أبي بكر وعمر، أما الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه)فقد اعترفوا بخلافته في شطرها الأول(الست السنوات الأولى من حكمه، ثم تبرؤوا منه وكفروه في بقية عهده(الست سنوات الأخرى من حكمه). وأما بشأن الخليفة الراشدي الرابع علي، فاعترفوا بخلافته من بدايتها الى أن قبل التحكيم، وبعد قبول التحكيم لم يعترفوا بخلافته، بل كفروه. كذلك لم يعترفوا بخلافة معاوية وسائر خلفاء بني أمية وكفروهم. (الاشعري،د، ت، ١٢٥)، كما كفروا أم المؤمنين عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري(رضي الله عنهم). وبالجملة فقد كفروا كل من لم يرى رأيهم ويذهب مذهبهم من المسلمين، واعتبروا دارهم دار الكفر، وأباحوا أموالهم ودماءهم، بل وحتى قتل أطفالهم (البغدادي، ٢٠٠٥، ٦١؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩، ١/١٠٦ – ١٠٩؛ الريس، ١٩٧٦، ٦٦؛ الدجيلي، ١٩٧٣، ٧٧ – ٧٨).المبدأ الثاني: الذي قامت عليه نظرية الخوارج، هو: وجوب الخروج على الإمام الجائر (البغدادي، ٢٠٠٥، ٦١؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩، ١/١٠٦ – ١٠٧)، وهنا: وجه الخطورة في حركتهم كلها، فلو اقتصروا على الخلاف النظري في الرأي، أو الجدال بالحجة والبرهان؛ لكان الامر أهون، ولكنهم شهروا السلاح في وجه مخالفيهم، بدءًا بعلي بن أبي طالب وحاولوا فرض آراءهم ومذهبهم بالقوة، وكما تطرفوا الى أبعد حد في الرأي والمذهب، فقد تطرفوا في اللجوء الى القوة والعنف، وكبدوا الأمة وأنفسهم خسائر فادحة، وعكروا صفو الدولة الأموية، وكانوا من أشد مناوئيها.يقول الدكتور النجار في هذا الصدد: " ولم يكن الخوارج إلا فئة من الناس خدعوا بالسراب فرأوا أن الحق في جانبهم وحدهم. وأن الناس جميعا ليسوا على شيء، ولذا قالوا بكفر كل من يخالفهم من المسلمين، بل لقد كانوا يرون الكفار المشركين أحسن حالا من المسلمين المخالفين لمبادئهم".ومما يدل على ذلك قصتهم مع واصل بن عطاء أحد مؤسسي فرقة المعتزلة (المتوفى سنة ١٣١هـ/ ٧٤٩م)، فقد وقع يومًا في أيديهم هو وبعض أصحابه، فخافوهم على أنفسهم، وعندما سألوهم من أنتم؟ فقالوا: نحن مشركون مستجيرون(المبرد، ٢٠٠٣، ٣/١٦٤)؛ فتركوهم ونجوا بذلك من أذاهم، يحدث هذا مع رؤوس المعتزلة مع أن افكار ومبادئ المعتزلة أقرب ما تكون الى فكر الخوارج. (الاشعري، د، ت، ١٢٤).ومع خطورة أفكار الخوارج، التي لا زالت تجد لها مكانًا في عقول بعض شباب المسلمين، الذين يكفرون المجتمع كله؛ لقلة فقههم وسوء فهمهم، إلا أننا لا نستطيع أن نحكم عليهم بالكفر، وأصدق وصف لهم ما قاله فيهم الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز(٩٩ – ١٠١هـ/٧١٧ – ٧١٩م): "أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها" (المسعودي، ٣/١٠٢). {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

أشهر فرق الخوارج:ظل الخوارج فرقة واحدة تتبنى أفكارا ومبادئ واحدة بصفة عامة؛ الى ما بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م . ولكنهم منذئذٍ بدؤوا ينشقون على أنفسهم، وكلما اختلف أحدهم مع رفاقه؛ انشق عنهم مكونا له فرقة خاصة به، حتى وصل عدد فرقهم الى اكثر من ثلاثين فرقة (الاشعري،د، ت، ٩٣ – ١١٥)، وأشهر هذه الفرق:

١–المحكمة وهم الذين خرجوا على علي بعد معركة صفين بينه وبين معاوية. وقالوا: بكفر علي وهم كانوا اثنا عشر الف رجل وكانوا أهل صلاة وصوم وعبادة، وفيهم قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِم، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِم، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ)(١).أقول: التَّرَاقِي جمع التَّرْقُوَة؟؟؟ وهو عظم في أعلى الصدر، أي: لا يجاوز إيمانهم عظم صدرهم فيدخل قلوبهم؛ ولعل ذلك بسبب سبهم الصحابة وتكفيرهم اياهم، وخرافاتهم في حقهم معاذ الله تعالى، وإلا فكانوا في الظاهر: أهل طاعة وعبادة. وقالوا: ان من نصب من قريش وغيرهم وعدل بين الناس فهو امام، وإن غير السيرة وجار؛ وجب عزله أو قتله، ولم يوجبوا نصب الإمام، بل جوزوا أن لا يكون في العالم إمام. وكفروا عثمان وأكثر الصحابة. وقالوا بكفر مرتكب الكبيرة.(الاشعري، د، ت، ١٢٧ – ١٢٨؛ البغدادي، ٢٠٠٥، ٦٢ – ٦٨).

٢–الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق الذين يعدون أشد فرقهم تطرفا في الافكار والمبادئ وجنوحا الى العنف، وكان زعيم هذه الفرقة هو أول من أحدث الخلاف بين الخوارج؛ لتطرفه، فقد برئ من القاعدين الذين لا يخرجون معه للقتال، كما قال بكفر من لم يهاجر اليه (الاشعري،د، ت، ؛ الدجيلي، ١٩٧٣، ٨٠ – ٨٤)، فضلاً عن: إباحة أموال ودماء مخالفيه، وتكفيره لمرتكب الكبيرة وحكمه بخلوده في النار، ولا يقبلون بالتقية لا في القول ولا في العمل. وقالوا: كفر علي بتحكيمه سعد بن وقاص في وقعة صفين. وقالوا نزل في شأن علي قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} [البقرة: ٢٠٤].

وقالوا: ابن ملجم محق في قتل علي وليس بمبطل، وقد انزل في شأن ابن ملجم قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٠٧]، وقالوا: بكفر أكثر الصحابة، وبكفر من قعد عن القتال مع مخالفيهم، وان كانوا موافقين لهم في الدين والمذهب، وقالوا: تحرم التقية في القول والفعل. وقالوا: إنه لا رجم على الزاني المحصن؛ لأنه غير مذكور في القرآن. وقالوا: إنه لا تحد امرأة إذا قذفت أحدًا؛ لأن المذكور في القرآن هو صيغة الذين وهو للمذكر. وقالوا: إن اطفال المشركين في النار مع آبائهم، وان مرتكب الكبيرة كافر.(الاشعري، د، ت، ٨٧ – ٨٩؛ البغدادي، ٢٠٠٥، ٦٨ – ٧١؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩، ١/١١١ – ١١٦؛ الدجيلي، ١٩٧٣، ٨١ – ٨٢).

٣-النجدات: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، ويلقبون بالعاذرية أيضا؛ لانهم عذروا الناس بالجهالات في الفروع. وقالوا: لا حاجة للناس إلى امام اصلاً؛ بل الواجب عليهم رعاية النصفة فيما بينهم، ويجوز لهم نصبه إذا رأوا أن تلك الرعاية لا تتم إلا به، ووافقوا الازارقة في التكفير وخالفوهم في بعض الاحكام (الاشعري، ١/١٥٧؛ البغدادي، ٩١؛ الشهرستاني، ١/١١٦ – ١١٧)، وهم أقل تطرفاً من الأزارقة ولا يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة، وهم يقبلون بالتقية في القول والعمل، وإن كان في قتل النفس مستدلين بقول الله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨]. (البغدادي، ٢٠٠٥، ٧١ – ٧٣؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩، ١/ ١١٧ – ١٢١؛ مرعي،٢٠٠٢، ٢٣١).

٤-البيهسية: ينسبون الى بيهس، واسمه: هيصم بن جابر من بني سعد بن ضبيعة بن قيس. قالوا: إن الإيمان هو الإقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول؛ فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام؟ فهو كافر؛ لوجوب الفحص عليه حتى يعلم الحق من الباطل، وقيل: لا يكفر بل يرفع أمره [إلى] الإمام فيحده. وقالوا: كل ما ليس فيه حد فهو مغفور، وقالوا: إذا كفر الإمام كفرت الرعية حاضرا وغائبا. وقالوا: الأطفال كآبائهم إيمانا وكفرًا. وقالوا: بإسناد أفعال العباد إليهم (ابن قتيبة، ٦٢٢؛ الاشعري، ١/١٧٧؛ الشهرستاني،١/١٤٤)، وهم أقل تطرفاً من الازارقة، ويزعمون: أن مخالفيهم تجري عليهم أحكام المنافقين؛ يجوز جوارهم وزواجهم وميراثهم. (الاشعري، د، ت، ١١٣ – ١١٨؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩١/١٢١ – ١٢٤؛ مرعي، ٢٠٠٢، ٤٥).

٥-الصفرية: أتباع زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة في تكفير القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين لهم في الدين والمذهب. وقالوا: إن المعصية التي توجب الحد لا يسمى صاحبها الا بها؛ فيقال مثلاً: قاتل زانٍ سارق إلى غير ذلك، ولا يقال: كافر، وما لا حد فيه؛ لعظمه كترك الصلاة والصوم يكفر صاحبه فيقال له: كافر. وهم لا يوافقون الأزارقة على تعذيب الاطفال، ويقولون: التقية جائزة في القول دون العمل. (الاشعري، د، ت، ١١٨؛ الشهرستاني، ٢٠٠٩، ١/١٣٤).

٦-الإباضية: أتباع عبد الله بن إباض، قالوا: مخالفونا من أهل القبلة كفار غير مشركين؛ يجوز مناكحتهم وغنيمة اموالهم. ودارهم دار الإسلام سوى معسكر سلطانهم؛ فانه دار الكفر. وقالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر، وان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (الاشعري، د، ت١٠٢؛ البغدادي، ٢٠٠٥، ٨٣؛ الشهرستاني،١/١٣١)، ويختلفون عن الأزارقة في: أنهم لا يرون اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شئ، بالسيف أو بغيره (الشهرستاني، ١/ ١٣٢)، وهم يقولون: إن مرتكبي الكبائر موحدَون لا مؤمنون؛ لذا مناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال؛ لأنهم إنما كفروا كفر نعمة لا كفر ملة. وتوقفوا في: أن النفاق أهو شرك أم لا؟ وكفَّروا عليا وأكثر الصحابة. وافترقت الإباضية أربع فرق. (الاشعري، د، ت، ١/١٠٢ – ١١٢؛ الطالبي، ١٩٧١، ٢٠٦ – ٢١٥).

٧-العجاردة: هم أصحاب عبد الرحمن بن عجرد، وافقوا النجدات في مذهبهم وزادوا عليهم: بأنه يجب أن يتبرء الأم والأب من الطفل؛ حتى يدعى إلى الإسلام بعد البلوغ. وقالوا: يجب دعوته اليه، وإن اطفال المشركين في النار مطلقًا، وافترقت العجاردة عشرة فرق.(الاشعري، د، ت، ٩٣- ١٠٠؛ البغدادي، ٢٠٠٥، ٧٦؛ الشهرستاني،٢٠٠٩، ١/١٢٤ – ١٢٦).

أسباب ظهور الخوارج في بلاد الكرد دون شك فإن أيَّة حركة معارضة للسلطة سواء أكانت سياسية ام دينية؛ عندما تريد ان تحمى نفسها من ان تمتد إليها أيدي السلطة، تبحث عن جهة تكون مناسبة لها مثلا في: ميولها او اتجاهاتها؛ لتكون متقاربة معها أو معاكسة للجهة التي هربت منها. ولعل الخوارج قد رأوا في بداية الأمر من مناطق شهرزور ذات الغالبية الكردية، وبلاد الجزيرة الفراتية التي يقطن شمالها الشرقي غالبية كردية، فضلاً عن إقليم غربي إقليم الجبال الذي غالبيته من الكرد، مع مجموعات فارسية تقطن في بعض مدنه؛ بحكم السيطرة الفارسية الساسانية. (البلاذري، ٣٧٨، ١٩٩٢؛ اليعقوبي،١٨٩١، ٤٠).وظلت كورة شهرزور ملجأً لهم طيلة الحكم الأموي والعباسي؛ حتى بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث بدأت الإمارات الكردية بالظهور؛ نتيجة دمج اتحادات قبلية مع بعضها البعض بعد فقدان الخلافة العباسية سلطتها المركزية بسيطرة البويهيين (٣٣٤ – ٤٤٧هـ/٩٤٥ –١٠٥٥م) على مقاليد الحكم، ومما لا شك فيه ان وعورة منطقة بلاد الكرد؛ كان لها تأثيرها الخاص اذ تعد من ابرز العوامل التي دفعت بالخوارج لاختيار شهرزور

وغربي إقليم الجبال في البداية قاعدة انطلاق لهم؛ لأن هذه المناطق المنوه عنها الان، تشتهر بسلاسلها الجبلية إضافة الى ذلك فإنها كانت بعيدة عن مركز الخلافة في دمشق وبغداد على حدٍ سواء، فضلاً عن عوامل أخرى اقتصادية وثقافية وفكرية.(ابن مهلهل،١٩٥٥، ١٠؛ ياقوت،١٩٩٥، ٣٧٥/٣) فبخصوص الموقع الجغرافي، فمن البدهي أن الأرض هي المكان الذي تدورعليه كل وقائع التاريخ المختلفة، وهي مع ذلك ذات بعد كبير في تقرير مصير النوع البشري، والتضاريس الطبيعية لسطح الأرض لها انعكاساتها على الوقائع العسكرية التي تحدث فوقها، فالمسطحات المائية والغابات والجبال والهضاب تعمل على إعاقة حركات الجيوش وتعرقل مواصلاتها، وتؤثر ايضا في الانسجام السياسي الداخلي للدولة. وقد تكون مناعتها عاملًا مشجعًا للحركات المعارضة في بعض الأحيان، وتشكل الجبال الحماية للمعارضة، وتمنحها مواقع حصينة عسكريًّا يتمكن خلالها المقاتلون من الدفاع عنها؛ لان التضاريس الأرضية من جبال وتلال وهضاب لها تأثير في العمليات العسكرية بشقيها الدفاعي والهجومي، فمثلاً: يختلف الهجوم في المناطق الجبلية والمتموجة، عن المناطق السهلية والصحراوية المكشوفة؛ اذ توفر المناطق الجبلية المرتفعة فرصة افضل وخاصة المناطق المتعرجة غير المنتظمة التي تجعل من المنطقة قلعة يصعب اقتحامها، ثم تعمل على تحديد قدرات المهاجم.وتساعد المناطق الجبلية على إجراء الحركات التراجعية وذلك بواسطة استعمال العوائق الطبيعية لحماية الأجنحة وتعطيل محاولات العدو الهجومية؛ لذا فإن منطقة الاقاليم الثلاثة بأجمعها؛ لا تساعد على القيام بتحركات واسعة باستثناء عمليات الدفاع فقط. (محيي الدين،٢٠٠٧، ١٧٦ – ١٧٧).لذلك أصبحت بلاد الكرد مأوى وملاذ لكل من تسول له نفسه الخروج على الخلافة الإسلامية في العهدين الاموي والعباسي، بل في نهاية الحكم الراشدي وتحديدًا حقبة الإمام علي بن أبي طالب، على سبيل المثال: حركة الخريت.(الكوفي،١٩٦٨، ٧٦/٤؛ اليعقوبي،١٤٢٥هـ، ١٣٥/٢).كما أن بلاد الكرد في التاريخ المبكر قبل الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرد، كانت موئلًا للمسيحيين النساطرة أتباع كنيسة المشرق؛ الذين اتخذوا من المناطق الجبلية الوعرة ملاذات آمنة، بعد اعتبارهم مهرطقين من قبل الكنيسة الملكانية؛ وفق قرارات مجمع أفسس الذي عقد سنة٤٣١م؛ لأن القديس نسطوريوس بطريرك القسطنطينية، أعلن أن مريم ولدت المسيح البشر ثم حلت الالوهية في كيانه فيما بعد؛ على العكس من اعتقاد الكنيسة الأم (الملكانية) التي عدت مريم والدة الإله.(مرعي، ٢٠٠٨، ٥١ – ٥٢، ٨٢ – ٨٣).وكذلك هرب قسم آخر من المسيحيين أتباع الطبيعة الواحدة (اليعاقبة – المنوفستيين) عندما اعتبروا مهرطقين هم الآخرين في مجمع خلقدونية الذي عقد سنة٤٥١م، واعتبروا المسيح ذات طبيعة واحدة، بعكس مقررات الكنيسة الملكانية التي تقول بأن للمسيح طبيعتين: إلهية وإنسانية (اللاهوت والناسوت).(مرعي، ٢٠٠٨، ٥٣ – ٥٤).لذلك اتخذت الفرقتين المسيحيتين من جبال بلاد الكرد موطنا ومستقرًا لهم؛ للقيام بإجراء طقوسهم وإنشاء اديرة وصوامع في أماكن بعيدة عن الأنظار في ثنايا الجبال، ولاسيما أن بلاد الكرد كانت تتوسط المنطقة الفاصلة بين الدولتين، على سبيل المثال لا الحصر، دير(مارمتى) الواقع في جبل مقلوب (جبل الفافا) على بعد ٣٥كم شرقي الموصل، أو في دير مار هرمز الواقع في جبل باعذرى – جبل ألقوش على بعد ٤٠ كم شمال مدينة دهوك.(أبونا، ١٩٩٩، ١٦١/١ – ١٦٢).ومن جانب آخر فإن بلاد الكرد تزخر بإمكانات أخرى فضلاً عن الموقع الجغرافي؛ اذ تحوي في طبيعتها إمكانات اقتصادية وبشرية، فمن الصعوبة بمكان مرور الجيوش في تلك المناطق، لا سيما في إقليم شهرزور وغربي إقليم الجبال ذات التضاريس المعقدة بشهادة البلدانيين (الجغرافيين) المسلمين؛ بسبب وعورة جبالها وارتفاعاتها الشاهقة، كل هذه الخصائص منحت بلاد الكرد بعدًا جيواستراتيجيًّا في غالبية العصور.(ابن مهلهل،١٩٥٥، ١٠؛ ياقوت،١٩٩٥، ٣٧٥/٣؛ مرعي، ٢٠٠٥، ٣٣ – ٣٧).

حركات الخوارج في كتاب مرآة الزمان لما كان كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (كتاب تاريخ حولي) أي: يدون الحوادث وفق التسلسل التاريخي، ولما كان موضوع بحثنا يخص بلاد الكرد؛ لذا من الاهمية بمكان الإشارة الى حركات الخوارج في المناطق التي يعتقد بأنها من ضمن بلاد الكرد، أو أن الموضوع يخص منطقة أخرى ولكنه يتعلق ببلاد الكرد في بداية انطلاق الحركة وانتهائها في بلاد الكرد، أو بقائها فيها لحقبة إلى أن يتم القضاء عليها سواء في عهد الخلافة الاموية أو في العصر العباسي الاول.والمعلومات عن الخوارج نادرة في كتاب السبط مقارنةً بغيره من كتب الحوليات، غير أنه دون بعض الحوادث على شكل نتف هنا وهناك، ولم يتطرق إليها مثلما تطرق إليها المؤرخون الآخرون أصحاب الحوليات، مثل: الطبري وجده ابن الجوزي وابن الاثير وابن كثير وغيرهم، ففي حوادث سنة ١٠٠هـ/٧١٨م، خرجت طائفة من الحرورية على والي العراق عبد الحميد(عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي) في عهد الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (٩٩ –-١٠١هـ/٧١٧–٧١٩م)، فكتب الوالي الى مرجعه الخليفة عمر، فكان رده بأن يدعو الخوارج الى كتاب الله والعمل به وسنة رسوله، فلما فشل في مسعاه، طلب منه الخليفة قائلاً:" قاتلهم فإن الله لم يجعل لهم سلفًا يحتجون

به علينا". (سبط ابن الجوزي،٢٠١٣، ٢١٥/١٠). فبعث الوالي إليهم جيشًا فهزمه الخوارج، فلما علم الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك، ارسل إليهم ابن عمه مسلمة بن عبد الملك (المتوفى سنة١٢١هـ/٧٣٨م) في جيش من أهل الشام، وكتب إلى عبد الحميد: "قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء، قد بعثت إليك مسلمة بن عبد الملك، فحل بينه وبينهم". (السبط، ٢٠١٣، ٢١٦/١٠).فتمكن مسلمة بعد سلسلة من المعارك من الانتصار عليهم؛ لذلك لما توفي عمر سنة ١٠١هـ/٧١٩م، كان عدد من الخوارج لا يزالون محبوسين في سجنه، ويستند السبط في رواية له نقلاً عن البلاذري بالقول:"خرج بسطام بن مُرَيّ اليَشْكُرِيّ في زمن عمر، ولقبه: شوْذَب، فقال لقومه: إن هذا الرجل يأمر بالعدل ويعمل به، فادعوه إلى أمركم، وما أنتم عليه من البراءة من عثمان وعلي ومعاوية، وما حكم به الحكمان، وأن لا حكم إلا لله، فكتبوا إليه بذلك". (السبط، ٢٠١٣،١٠/٢١٦). ويبدو من هذا النص أن السبط نقل النص بتمامه من البلاذري، وهو قليل الإشارة الى هذا الجانب.فرد عليهم الخليفة عمر بالقول:" إلى العصابة الخارجين بزَعْمِهِم يلتمسون الحق، أما بعد، فإن الله سبحانه لم يُلبس على العباد أمورهم، ولم يتركهم سُدى ...، حتى أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فبعث محمدًا بشيرًا ونذيرًا، وأنزل عليه كتابًا حفيظًا؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وقفت على كتابكم، وما دعوتموني إليه. فأما التَّبَرُّؤ من الصحابة فمعاذ الله، كيف أتبرأ من قوم أخبرني الله في كتابه العزيزأنهم سبقونا...لقوله تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}، (سورة المائدة، الاية ٤٤)، فقال: أخطأتم في التأويل؛ لأن المراد من الآية الجحد، أما التأويل بأن يقع حد فيدرأه عن صاحبه فليس بكفر، قالوا: فإن عُمَّال صاحبكم يظلمون، وقد قال الله: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}، (سورة هود: الاية ١٨) قال: فتولوا أنتم أعماله، قالوا : نعمل له فنشركه فيما هو فيه؟ قال: فكونوا أمناء على العمال، أي عامل عمل بغير الحق فاعزلوه"(السبط، ٢٠١٣، ٢١٧/١٠). فكان رد الخوارج: أنهم أرسلوا مبعوثين اثنين من قبلهما؛ لمحاورة الخليفة رجلين، كان أحدهما عربيًا من بني يَشْكُر يدعى: بسطام، والآخر من الموالي من أصل حبشي اسمه: عاصم(٢)، فوصلوا الى مقر الخليفة الى عمر في مدينة خُناصِرة(٣)، ومعه ابنه عبد الملك وكاتبه ومولاه مزاحم، فدخلوا على عمر فأخبراه بوصول الرجلين فقال: "فتشوهما، ففتشوهما فلم يجدوا معهما حديدًا، فأذن لهما، فدخلا عليه فقالا: السلام عليك، فرد عليهما وأذن لهما بالجلوس، فجلسا، فقال عمر: ما الذي نقمتُم علينا ؟ فقال عاصم: أخبرنا عن قيامك بهذا الأمر، أعن تراض من الأمة أم ابتزَزتهم أمرهم؟ فقال: ما سألتهم إياه، ولا غلبتهم عليه، وإنما عهده إلى رجل لم أسأله إياه؛ لا في سر ولا في علانية، فقمت فيه قيام مُكْرَه، فلم ينكره أحد غيركم.(السبط، ٢٠١٣، ٢١٧/١٠).فرد عليه أحد الخوارج وهو: (بِسطام بن مُري اليَشكري) بقوله:" رأيناك خالفت أهل بيتك، وسميت أفعالهم مظالم، وسلكت غير طريقهم، فإن كانوا على ضلالة وأنت على هُدًى؛ فالعنهم وتبرأ منهم ونحن موافقوك"، ولكن الخليفة عمر بن عبد العزير لم يوافق على آرائهم وجاء بأدلة من القرآن الكريم ومن سنة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن سيرة الخلفاء الراشدين أفحمتهم :" زعمتم أن لعن الظالمين فريضة، فمتى لعنتم فرعون؟ فقال عاصم: ما أعلم أني لعنته، قال: ففرعون كان أخبث العالم ولم تَلْعَنه، أفألعن أنا أهل بيتي وهم مسلمون مُصَلُّون إن كانوا ظالمين، ... أليس من أسلافكم من سفك دم عبد الله بن حباب، وبقروا بطن امرأته، وقتلوا وأخذوا المال؟ قالا: بلى، قال: فهل تبرأتم منهم؟ قالا: لا، قال: فأهلي لم يفعلوا مثل ذلك؛ ومع هذا ما تبرأتُم منهم، فكيف أتبرأ من أهلي؟ ثم بكى عمر، فقالا: نشهد أنك على الحق، وأنك تتحرى الخير والعدل والصدق". (السبط، ٢١٨/١٠). ثم ذهب رسولا الخوارج الى معاقلهم وذكروا ما جرى لهم من مقابلتهم للخليفة وكيف أنه رد على أفكارهم؛ ونظرا لما جرى فقالوا: "كُفُّوا عن هذا الرجل؛ ما كفَّ عنكم". (السبط، ٢١٨/١٠). وكان عمر يردد بأنهم لم يستطيعوا إقناعه إلا عندما أشاروا الى أفعال يزيد بن معاوية، في إشارة الى ما ارتكب في خلافته من مقتل الحسين بن علي واستباحة المدينة المنورة وقصف الكعبة بالمنجنيق. (السبط، ٢١٨/١٠).ويظهر أن رسولي الخوارج قد انفصلا عن جماعتهم، بدليل: أن (بسطام اليشكري) سكن حرة (مدينة أربل- أربيل الحالية وما جاورها)، وعاد عاصم الحبشي إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز فأقام عنده، فخصص له راتبًا، فمات بعد خمسة عشر يومًا.وفيها عين عمر (عمر بن هبيرة بن السكين الفزاري) المتوفى سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م) عاملاً على بلاد الجزيرة الفراتية، فسار إليها فضبطها، ورحل الخوارج خوفًا منه إلى إقليم إرمينية. (السبط، ٢٠١٣، ٢١٨/١٠).وفي حوادث سنة (١١٩هـ/٧٣٧م) تمرد الخوارج بقيادة بهلول بن بشرالشيباني (المعروف ب كثارة) على الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ -١٢٥هـ/٧٢٤ - ٢٤٣م)، وكان قد خرج إلى الحج، فنزل بقرية من قرى السواد، فأمر غلامه أن يشتري خلاً، فجاء غلامه بخمر، فرده، ومضى بهلول إلى عامل القرية، فكلمه، فلم يلتفت إليه وقال: الخمر خير منك ومن أصحابك، وأغلظ له، وبقي في قلبه شيء، وسار إلى مكة، فلقي بها مَنْ هو على مثل رأيه فعزم على الخروج على الخليفة، فاتفق هو ومن كان معه أنه إذا عاد من الحج دخل احدى الموصل. فاجتمعوا هناك وهم أربعون رجلاً، ونصبوا

البهلول رئيساً لهم، وقاموا بنهب دواب البريد، فقال البهلول لأصحابه: ابدؤوا بالعامل الذي شتمني. فكان جوابهم: إذا بدأنا به اشتهر أمرنا؛ لذا سيعلم والي العراق خالد القسري (المتوفى سنة١٢٦هـ/٧٤٣م)٧٦ بتحركاتنا، ونحن نريد أن نبدأ بخالد الذي هدم المساجد، وبنى البيع والكنائس، وولى المجوس وأهل الذمة على المسلمين ينكحون المسلمات(٤).فدعنا نقصده بغتة فنقتله ونريح المسلمين منه، وهكذا قرر البهلول قتله بقوله: "لا بد من قتله، فأتاه فقتله". وعند مقارنة ما جاء في كتاب السبط بما ورد عند الطبري:" وأجمعواعلى ألا يمروا بأحد إلا أخبروه أنهم أقبلوا من عند هشام (الخليفة هشام بن عبد الملك) على بعض الأعمال، ووجههم إلى خالد (خالد بن عبدالله القسري)؛ لينفذهم في أعمالهم، فجعلوا لا يمرون بعامل إلا أخبروه بذلك، وأخذوا دواب من دواب البريد، فلما انتهوا إلى القرية التي كان ابتاع فيها الغلام الخل؛ فأعطي خمرًا؛ قال بهلول: نبدأ بالعامل ..." (الطبري، ١٣٨٧هـ، ٧/١٣٠؛ ابن الاثير، ١٩٩٧،٤/٢٤٠).وكان والي العراق خالد بن عبدالله القسري متواجدًا حينذاك في مدينة واسط، فكتبوا إليه يخبرونه، فجاء الى الحيرة (عاصمة دولة المناذرة والقريبة من الكوفة) وفيها جيش يُريد أن يسير إلى خراسان؛ مددًا للخلافة الاموية في المشرق الإسلامي، فسيره إليهم، والتقوا بالخوارج على نهر الفرات وجرت معركة بين الجانبين، فما كان من زعيم الخوارج البهلول إلا أن هجم على قائد الجيش فقتله، وانهزم أصحابه إلى أبواب الكوفة، فجهز إليهم خالد جيشًا آخر، فهزموه هو الآخر إلى أبواب الكوفة. بعدها سار البهلول قاصدًا الموصل، فخاف عاملها (الوليد بن تليد العبسي)، فكتب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يطلب منه المدد، فأرسل إليهم جيشًا من الشام وأَمر بإرسال جيش آخر من الجزيرة الفراتية، فضلاً عن ذلك أرسل خالد بجيش آخر من العراق، لذا تحرك الخوارج نحو أحد أديرة النصارى الواقع بين الجزيرة والموصل(٥)؛ للاختفاء ومحاولة إنقاذ أنفسهم من هذه الجيوش الكثيرة، وكان البهلول في سبعين رجلاً فقط، ولكن القوات الاموية لحقتهم، وتمكنوا من القضاء على الخوارج، بما فيهم قائدهم البهول، ونجا منهم عدد قليل. (السبط،٢٠١٣،١١/٩٥). والمنطقة الواقعة شمال شرق الموصل كانت دون شك في تلك الحقبة منطقة كردية؛ لأن غالبية المصادر الجغرافية الإسلامية والسريانية تشير الى ذلك. (لسترنج، ١٩٨٥، ١٢٤). وكان البهلول قد أوصى بأنه في حال مقتله فإن (عمرو اليشكري) سيخلفه في القيادة، وبالفعل بعد مقتله، قاد عمرو اليشكري الخوارج، ولكنه لم يلبث إلا حقبة قصيرة حتى قتل. (السبط،٢٠١٣،١١/٩٥).ثم خرج (وزير السختياني) الذي كان متواجدًا في الحيرة، فجعل الاخير لا يمر بقرية إلا أحرقها ولا بأحد إلا قتله، فبعث إليه خالد جيشًا، فقاتلوه، فأثخنهم بالجراح، وتم أسره من قبلهم وحمل إلى خالد، فلما مثل بين يديه، تلا آيات من القرآن، فأعجب خالدًا ما سمع منه، فأمسك عن قتله، وحبسه وكان لا يزال يبعث إليه في الليل، فيحادثه ويُسائله، وبلغ ذلك الخليفة هشامًا، فكتب إليه: (قد صرت حروريًّا تحمي من قد قتل وحرق، اقتله ثم احرِقه، فلم يفعل حتى كتب إليه هشام مرارًا يعزم عليه، فلما لم يستطع دفعه قتله وحرقه وجماعة من أصحابه، أدخلوا المسجد، وجيئوا بالقصب، فأدخلوا فيه ورميت فيهم النيران، فما اضطربوا، ومازال السختياني يتلو القرآن حتى مات) (السبط،٢٠١٣،١١/٩٥– ٩٦).وفي سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م استولى الضحاك بن قيس الخارجي على الكوفة، وانضم إليه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام ومنصور بن جمهور خوفًا من الخليفة الاموي مروان بن محمد (٧٢ – ١٣٢هـ/٦٩٢– ٧٥٠م)، فلمَّا حاصر الضَّحَّاك (عبد الله بن عمر بن عبد العزيز) بمدينة واسط؛ أرسل إليه يقول له: مقامك ههنا ليس له فائدة، هذا مروان بالجزيرة، فسر إليه، فإن قتلته؛ فأنا معك، فتصالح مع الضحاك وغادر واسط متجهًا نحو الخليفة مروان، وجاءت كتب ومراسلات من الجزيرة والموصل إلى الضحاك أن يقدم عليهم، فسار إليهما في سنة١٢٧هـ/٧٤٥م، ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك؛ المعرض عن سلطة ابن عمه الخليفة (مروان بن محمد). وفي رواية أخرى: جاءه وهو في مدينة نصيبين، والوالي على الموصل (القطران بن أَكْمَه الشيباني) من قبل مروان، ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك، فدخلها، وقاتلهم والي الموصل القطران، فقتلوه ومَنْ كان معه من أهله وقومه، واستولى الضحاك على الموصل والمناطق المحيطة بها. (السبط، ١١/٣٦٧).وفي تلك الاثناء كان الخليفة مروان بن محمد يحاصر مدينة حمص، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو نائبه بالجزيرة الفراتية أن يسير إلى مدينة نصيبين؛ ليشغل الضحاك عن مدن الجزيرة الاخرى، فسار ابنه على رأس سبعة آلاف مقاتل وخلف بمدينة حران(٦)؛ قائدًا في ألف مقاتل، وسار إليه الضحاك، فلم يكن لمحمد بن مروان طاقة لمقاتلة الضحاك؛ لكثرة ما مع الضحاك؛ حيث كان معه حوالي: ١٢٠ الف مقاتل. (السبط، ١١/٣٦٧).وقام الضحاك بمحاصرة مدينة نصيبين، وجاء مروان بجنوده وعددهم ٦٠ الف مقاتل، فالتقوا بالقرب من مكان يقال له: الغز بالقرب من كفر توثا(٧)، فجرت معركة شديدة ابتداءً من تلك الليلة، ترجل على إثرها الضحاك وترجل معه من مقاتليه ستة آلاف رجل، وغالبية جنده لكثرتهم؛ لا يعلمون بما جرى، وأحاطت بهم خيل مروان وحاصروهم، فقتلوا الضحاك وغالبية مَنْ تَرَجَل معه، وانصرف من بقي من أصحابه إلى قاعدتهم، ورجع أصحاب مروان إلى معسكرهم، ولا يعلم

مروان بأن الضحاك قد قتل في أثناء المعركة، حتى فقده أصحابه وسط الليل، فأخبرهم أحد رجالهم بأنه رآه مقتولًا، فبكوا عليه، فجاء أحد قواد الضحاك وهو: (عبد الملك بن بشر التغلبي) فدخل معسكر مروان، فأخبرهم بقتله، فأرسل معه جماعة معهم الشمع والنيران إلى موضع المعركة لإنارة المكان فقلبوا القتلى، فتمكنوا من معرفة جثة الضحاك وجاءوا بها الى مروان وفي وجهه ورأسه أكثر من عشرين ضربة، فكبر جيش الخليفة مروان بن محمد، وعرف جيش الضحاك أنهم قد علموا بقتل قائدهم الضحاك، وقطع مروان رأسه وبعث به من ليلته إلى مدن الجزيرة الفراتية، فطافوا به فيها، وفي رواية أخرى ذكرت: بأن الضحاك قتل سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م. (السبط، ١١/٣٦٧-٣٦٨).ولما قتل الضحاك؛ انتخب أفراد معسكره "الخيبري" قائدًا لهم، وأصروا على قتال الخليفة مروان بن محمد لاخذ الثأر، وكان سليمان بن عبد الملك بن مروان مع أكثر من ثلاثة آلاف من أهله ومواليه منضوين مع الخيبري، وكان قد تزوج أخت (شيبان الحروري) الذي بويع قائدًا للخوارج بعد مقتل الخيبري. (السبط، ١١/٣٦٨).وفي النهاية تقابل الجيشان: جيش مروان بن محمد قد تم تعبئته على شكل كراديس(٨) ميمنة وميسرة، ففي الميمنة: أهل الشام يقودهم ابنه عبد الله، وفي الميسرة: أهل الجزيرة يقودهم إسحاق بن مسلم العقيلي، ومروان واقف في القلب، وجيش الخوارج بقيادة الخيبري، فحمل الخيبري في نحو من ٤٠٠ من الشراة الفدائيين؛ وقصد الخليفة مروان الذي كان واقفًا في قلب الجيش، فانهزم مروان، وخرج من ساحة المعركة، والميمنة والميسرة من كراديس جيشه ثابتة، وهجم الخيبري على سرادق مروان فجلس على فراشه، وقطع أطناب خيامه، وفي طريقه قتل مَنْ لَقِيَهُ من جند مروان؛ فلما رأى عبيد مروان قلة المقاتلين المهاجمين مع الخيبري، ثابوا إليه بعمد الخيام، فقتلوه وأصحابه في خيمة مروان وحولها، وبلغ مروان الخبر وقد جاوز المعسكر بأكثر من خمسة أميال منهزمًا؛ فعاد إلى مقر قيادته ورد خُيوله عن مواقفها إليه، وعلمت الخوارج بقتل زعيمهم الخيبري، فنصبوا مكانه: (شيبان بن عبد العزيز الحروري)، وبايعوه، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس، وأبطل نظام الصفوف، ثم بدأ الخوارج بالانسحاب الى منطقة أخرى في بلاد الجزيرة الفراتية يرافقهم سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعارض لسلطة ابن عمه مروان بن محمد بن مروان، فأقاموا بتلك المناطق، وعاد مروان إلى مقر حكمه في مدينة حران. (السبط، ١١/٣٦٨- ٣٦٩). وغالبية تلك المناطق التي جرت فيها المعارك كانت مناطق يغلب عليها الجنس الكردي؛ لأن مناطق شمال وشمال شرق الجزيرة تحديدًا يمكن عدها ذات غالبية كردية مع وجود أقوام أخرى فيها؛ كالسريان والأرمن والعرب وغيرهم.أما الحركة الخارجية الاخرى فكانت بقيادة (شيبان بن عبد العزيز اليشكري) وهو الملقب بابي الدلفاء وكان شيبان في البداية من أنصار الضحاك، فلما قتل الاخير بايع أصحابه الخيبري الذي قتل بدوره بعد مدة قصيرة فوقع الاختيارعلى الشيباني؛ ليتزعم الحركة و يواصل فعالياته العسكرية ضد الخلافة الاموية دون جدوى. وهذه الحركات تزداد قوة وخطورة على الدولة الأموية، في الوقت الذي كانت الدولة تعيش أيامها الاخيرة، ويقترب منها شبح الموت يوما بعد يوم، لا سيما وأن أفكار الدعوة العباسية اخذت في الانتشار بين القسم الشرقي من الدولة، فضلًا عن النزاع الداخلي الناشب بين افراد الاسرة الأموية الحاكمة نفسها، وتحديدًا بين أولاد هشام بن عبد الملك(سليمان وإخوته) وابن عمهم الخليفة مروان بن محمد. (محيي الدين،٢٠٠٧، ٢٦٨).وكان موطن حركة شيبان الموصل والمناطق المحيطة بها، وقد استمرت الموصل في تأييدها لهذه الحركة حتى بعد مقتل الضحاك على اثر التقائه بجيش مروان بن محمد سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م، وقدمت دعما للخوارج لاسيما لزعيمها (شيبان بن عبد العزيز اليشكري)، فقد اصبحت المدينة مصدرًا؛ لتموينهم بعد انقلابهم اليها، وكان (سليمان بن هشام بن عبد الملك) قد نصحهم بالانصراف الى مدينة الموصل، والبقاء في الجانب الشرقي منها؛ لذلك أنشأوا عدة جسور من جانب نهر دجلة الشرقي للحصول على الميرة اللازمة لهم، فيما عسكر مروان مع جيشه في غربي الموصل، واستمر القتال بينهم لما يقارب السنة وهم على تلك الحالة.(السبط،٢٠١٣، ١١/٣٧٦).

ويذكر السبط رواية أخرى: أن أحد المقاتلين خرج من جيش مروان وطلب المبارزة؛ فبرز إليه (أميَّة بن معاوية بن هشام) أبنُ أخي سليمان، فأسره الرجل وجاء به الى مروان، فقال له ابن عمه الاسير: أنشدك الله والرحم، فكان جواب مروان: (أنتم قطعتم وشائج الأرحام بيننا، وأمر به فقطعت يداه ورجلاه، وسليمان وإخوته ينظرون إليه، ثم قتله). (السبط، ٢٠١٣، ١١/٣٧٦؛ الطبري، ١٣٨٧هـ،٧/٣٤٩ – ٣٥٠).وتجدر الإشارة إلى أن هناك خلاف بين السبط والطبري بشأن دعم والي العراق (يزيد بن عمر بن هبيرة) لمروان بن محمد، فقد أشار السبط الى ذلك بالقول:" وسار ابن هبيرة إلى العراق، فقاتل خليفة الضحاك، فقتله، وأباد الخوارج، واستولى على الكوفة، فكتب إليه مروان أن يُمده، فأمده ب(عامر بن ضبارة) في نحو سبعة آلاف مقاتل، وبلغ شيبان قدومه، فبعث إليه قائدين: الجَوْن وابن غوث، فالتقوا مع عامر بن ضبارة بالسِّنّ(٩) جنوب الموصل، وجرت بينهم معركة، انهزم على إثرها الخوارج وعادوا إلى مواقعهم في الموصل، وتفرق عنهم كثير من أهل المصالح وخذلوهم، وانقطعت عنهم الإمدادات من التموين والرجال، وفرغ ما في الموصل من الميرة، وكانوا في مائة

وعشرين ألف مقاتل، فأصبحوا في أربعين ألفاً، فقال لهم سليمان: قد ضعفنا، وكلّما جئنا نضعف، ومروان تأتيه الميرة، فارتحلوا من الموصل، فلا مقام لنا بها". (السبط، ٣٦٧/١١).أما الطبري فقد أورد رواية أخرى وهي: أن مروان بعد أن شدد الحصار على الخوارج في الموصل الذي طال أمده الى ستة أشهر، ولم يتمكن من حسم الموقف إلا بعد أن طلب المدد من عامله على العراق (يزيد بن عمر بن هبيرة)؛ لينجده بقوات اضافية بقيادة (عامر بن ضبارة) التي قدر عددها بستة أو ثمانية آلاف مقاتل، فتوجه عامر بن ضبارة الى الموصل، عندها أدرك الزعيم الخارجي (شيبان بن عبد العزيز اليشكري) خطورة الموقف بعد وصول الدعم الى مروان من العراق. (الطبري، ١٣٨٧هـ، ٣٥٠/٧ – ٣٥١)؛لذلك بدأ الخوارج بالانسحاب والتحرك بسرعة نحو شرق العراق؛ قاصدين مدينة حلوان الواقعة شمال شرق مدينة خانقين، في طريقهم نحو إقليمي الأهواز وفارس، وأرسل مروان قائده ابن ضبارة؛ لكي يتتبع أثرهم ودعمه بمدد إضافي من المقاتلين بقيادة أحد القواد الذي لم يشِر إليه السبط، وأمره أن يتبعهم حتى يستأصلهم؛ لذا افترق الخوارج في إقليم فارس الى فرقتين: فرقة سارت بقيادة شيبان اليشكري نحو البحرين حيث ركبوا البحر، حيث قتل بها، وفي رواية الطبري: توجه شيبان الى عمان؛ فقتله جلندي بن مسعود هناك سنة ١٣٤هـ/٧٥١. (الطبري، ١٣٨٧هـ، ١١٠/٩)، والفرقة الثانية: سارت بقيادة سليمان يرافقه أهله ومواليه نحو إقليم السند، وركبوا في السفن حيث أقلتهم الى بلاد الهند، ولا يذكر السبط المصير الذي آلوا إليه، فيما عاد مروان إلى مقره في مدينة حران؛ فأقام بها حتى شخص إلى نهر الزاب حيث جرت المعركة الفاصلة بينه وبين القائد العباسي (عبد الله بن علي) في سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م.(السبط، ٢٠١٣، ٣٧٦/١١).ويبدو: أن أولى دلائل التحول في منحى حركة الخوارج بروز سليمان بن هشام بن عبد الملك؛ أحد أفراد الاسرة الاموية الحاكمة، ومحاولته احتلال مكانة متميزة داخل الحركة، والركوب على موجتها؛ لمعارضته تولي مروان بن محمد سدة الخلافة، وكانت خطته تقضى الانتقال من مدينة كفرتوثا الى جوار الموصل والتحصن فيها، ثم محاربة مروان انطلاقا منها، وقد قبلها الخوارج بدون تردد؛ لأنهم كانوا مستفيدين من الصراع الذي جرى بين أجنحة الاسرة الاموية وكانت سبباً في ضعفهم. ولكن مقتل كل من قائدي الخوارج الضحاك والخيبري على التوالي قد اضعف معنوياتهم، وبالتالي آلت خطط سليمان الى الضعف والتلاشي، حيث غادر مع أفراد أسرته وأبناء عمومته الى مناطق بعيدة داخل شبه القارة الهندية، وجعل القوات الاموية التي تحت قيادة ابن عمه مروان والاخرى التي تحت قيادة (عامر بن ضبارة) تصاب بالجهد والإنهاك؛ مما سهل من مهمة الثوار العباسيين؛ للانقضاض على الخلافة الاموية وإسقاطها بعد سنتين من حركة الخوارج الكبيرة والاخيرة.

حركة ملبَّد بن حرملة الشيباني الخارجي ضد الخلافة العباسية لقد أشار السبط في حوادث سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م الى مقتل الملبَّد الخارجي سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م، ولم يذكر كنيته الكاملة، ولكنه في حوادث سنة١٣٩هـ/٧٥٧م ذكر ذلك، وأشار الى أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ/٧٥٣ – ٧٧٥م) قد بعث إليه الجيش تلو الجيش، بعد أن استفحل أمره وهو يهزمها، ولم يذكر السبط سبب خروج الملبد. ويبدو واضحا من خلال مواقف الخوارج المعارضة للسلطان العباسي، فبعد أن قضت الخلافة العباسية على حركة (عبد الله بن علي بالجزيرة الفراتية) على يد (أبي مسلم الخراساني)، أرسل الخليفة ابو جعفر المنصور الى الجزيرة (أبا الأزهر المهلب بن العبيثر المهدي) و (صالح بن صبيح) مولى كندة وغيرها من كور الجزيرة؛ للمحافظة على الامن فيها، وفي تلك الاثناء نزل رجل من قواد خراسان منزلاً فنزل عليه الملبد بن حرملة بالجزيرة سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م، فرأى ابنته و في رواية أخرى: ابنة أخيه، وطلب اليها أن تغسل رأسه؛ فعارضه الملبد طالبًا ان تقوم احدى الإماء محلها؛ فاصر القائد الخراساني على ذلك، وخرج عليه الملبد فقتله ثم تتبع داره وفيها عدد من الجنود الخراسانيين فقتلهم، وسمع الخوارج بخبره فانضم إليه عشرون منهم؛ وبذلك ابتدأت شرارة الحركة الخارجية في منطقة الموصل وأطرافها، لاسيما وأن أهالي تلك المنطقة كانوا موتورين على الدولة بسبب كثرة الخسائر من أهالي الموصل على يد العباسيين. (البلاذري،١٩٩٦، ٢٤٨/٤، ؛ حمادي، ١٩٧٧، ٥٣٢ – ٥٣٣). فأرسل الخليفة المنصور إليه قائده زياد بن مشكان في ٥٠٠٠ مقاتل، وملبد في ٢٠٠ مقاتل، فهزمه ملبد، فكتب إليه أبو جعفر: "العجب كل العجب لمن يخاف ما لم يقضَ عليه، أو يفر مما قضي أن يصيبه، فلم هبتَ قتال الملبد وهو في قلة وأنت في كثرة؟ وقد علمت أن للعباد آجالًا لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون"، (السبط، ٢٠١٢، ٦٥/١٢، ٨٨).ثم أرسل إليه قائده أبو جعفر صالح بن صبيح على رأس ٤٠٠٠ مقاتل، فالتقى بالملبد بالقرب من مدينة نصيبين، فانتصر عليه الملبد وقتله، واستولى على ما في في معسكره، وفي الاخير بعد أن يئس الخليفة المنصور من القضاء عليه، بعث إليه قائده (خازم بن خزيمة) ومعه ٨٠٠٠ مقاتل، فسار خازم حتى وصل الموصل، وجاء الملبد فاستقر في مدينة بلد(١٠)؛ الواقعة شمال الموصل، وعبر خازم بن خزيمة نهر دجلة، ونزل فخندق، وتحرك إليه الملبد، والتقى الجيشان، وكان خازم قد عبأ جيشه فجعل على

الميمنة نضلة بن نعيم، وعلى الميسرة أبو حماد، مولى بني سليم، وجرى القتال بين الجانبين واستمر إلى الليل، وكان نتيجة القتال أن الملبد حاول الانسحاب مع مقاتليه؛ لعمل مكيدة، ثم عادوا الى القتال من جديد؛ فتمكنوا من هزيمة ميمنة خازم وميسرته، ووصلوا الى القلب حيث سرادق خازم، فترجل خازم وترجل أصحابه، واقتتلوا، فهزموا ملبدًا وأصحابه، وقتلوا الملبد وغالبية من معه، وكانوا قد بلغوا ٨٠٠ مقاتل، وهرب من سَلِمَ من القتل. (السبط، ٢٠١٣، ١٢/٨٨).وفي سنة١٨٤هـ/٨٠٠م رجع الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ/ ٧٨٦ – ٨٠٩م) إلى بغداد قادمًا من مدينة الرَّقَّة الواقعة على نهر الفرات في السفن، أما أصحابه وأثقاله فقد انتقلوا عن طريق البر؛ وكان سبب قدومه خروج (أبي عمرو الشاري) عليه؛ فإنه خرج في منطقة شهرزور، واستفحل أمره، وانضم إليه كثير من الناس في تلك المنطقة النائية عن مقر الخلافة، فجهز إليه هارون الرشيد قائده (زهير القصاب)، فالتقوا في منطقة شهرزور واقتتلوا، فانتصر الشاري في بداية الامر، ثم كانت الدائرة عليه، فقتل مع جماعة من أنصاره، وهرب الباقون. (السبط، ٢٠١٣، ١٣/٥٩).وفي سنة٢٥٤هـ/ ٨٦٨م استولى (مساور الشاري) على الجزيرة الفراتية، فأرسل إليه الخليفة العباسي المعتز بالله (٢٣٢ – ٢٥٥هـ/٨٤٧ – ٨٦٩م) قائده (نوشري)، فقتل أصحاب الشاري بعضًا من وهزمهم. وفي رواية أخرى: إن مساور الشاري خرج بأرض الموصل، فوجه المعتز إليه قائده بغا على رأس جيش، فلما تحرك بغا من مدينة سر من رأى (سامراء) رأى بأم عينيه نهب الموالي داره، فتفرق الجيش الذي كان معه، فانحدر في نهر دجلة بزورق، فقتله الوليد المغربي. (السبط، ٢٠١٣، ١٥/ ٣٣١ – ٣٣٣).مما تقدم يثبت أن السبط لم يتطرق الى جميع حركات الخوارج سواء في العصر الاموي، أو العصر العباسي الاول، مثلما فعل المؤرخون الذين سبقوه، سواء مؤرخوا الحوليات كالطبري والجوزي وابن الأثير، أو المؤرخون الآخرون كاليعقوبي والمسعودي، فقد اختار فقط بعض الحركات التي جرت في منتصف العصر الاموي، ولكنه ركز على الحركات التي جرت في نهايته وتحديدًا أيام الخليفة الاخير (مروان بن محمد).

المبحث الثاني الباطنية

الباطنية: مذهب قائم على أن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة أخرى، ففي العراق يسمون: الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان: التعليمية والملحدة، وهم يقولون: نحن إسماعيلية؛ لأننا تميزنا عن فرق الشيعة الاخرى؛ الاثني عشرية، والزيدية. ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلسفة، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج.(الشهرستاني،٢٠٠٩، ٢/ ٢٠١ –٢٠٢) فقالوا في الباري تعالى: "إنا لا نقول هو موجود، ولا؛ لا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات فان الإثبات الحقيقي، يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلعتنا عليه وذلك تشبيه، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين، وخالق الخصمين، والحاكم بين المتضادين...".(الشهرستاني،٢٠٠٩، ٢/ ٢٠٢).والباطنية لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي؛ تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلا يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص. فهو يعني: أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، وأن الطقوس والشعائر، بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن . وقد استقرى الغزالي تحت هذا الاتجاه ثمانية القاب، يهم بحثنا الالقاب الخمسة الاولى، وهي:

١- الباطنية: نسبة إلى التأويل بالباطن.

٢- القرامطة – القرمطية: نسبة إلى حمدان قرمط ، أحد دعاتهم في الابتداء.

٣- الخُرَّمية: نسبة إلى حاصل مذهبهم وزبدته، وهو تحصيل اللذة، فإن (خرم): لفظ فارسي يدل على الشيء المستلذ، وقد كان لقبًا للمزدكية، وهم أهل الإباحة من المجوس.

٤- البابكية، نسبة إلى: بابك الخرمي الذي خرج من بعض الجبال بناحية أذربيجان في أيام المعتصم بالله (٢١٨ – ٢٢٧هـ) الذي وجه إليه جيشًا قضى على حركته في سنة ٢٢٢هـ. (الغزالي،١٩٦٤، ١١).

٥- الإسماعيلية: نسبة الى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، سابع الائمة ابتداءً من محمد (صلى الله عليه وسلم).(ابن الجوزي، ١٩٨٥، ١٢٤ – ١٢٥؛ الدهلوي،١٤٠٤هـ، ١٧).

إن القرامطة والبابكية والإسماعيلية كانت حركات سياسية لعبت أدوارًا متفاوتة الأهمية في تاريخ الإسلام السياسي، أهمها من هذه الناحية: الإسماعيلية في صورة الفاطمية؛ إذ كونت دولة واسعة شملت المغرب ومصر والشام واليمن، وبَثَّتْ الدعاة في كل بلاد الإسلام من الهند

حتى المغرب الأقصى، ولا تزال باقية حتى اليوم. لكن ينبغي أن نضيف طائفة أخرى تندرج تحت فرق الباطنية، ولا يزال لها أتباعها اليوم، وهي: النصيرية، نسبة إلى ابن نصير مؤسس الفرقة؛ ولهذا فإننا نصنف الباطنية من حيث فرقها إلى:

١ – الإسماعيلية

٢ – البابكية

٣ – القرامطة

٤ – النصيرية

وكلها – فيما عدا حركة البابكية – تندرج تحت مذهب الشيعة. (الدهلوي، ١٤٠٤هـ، ١٧ – ١٨؛ بدوي،٢٠٠٥، ٧٥٤).

فبخصوص التأويل بالباطن إن الخاصية الأساسية المشتركة بين كل هذه الطوائف هو التأويل بالباطن؛ على أساس قولهم: بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلا ودواعي التأويل بالباطن عديدة، منها:

١ – التحرر من قيد النص المقدس؛ ابتغاء التوفيق بينه وبين الرأي الذي يذهب إليه صاحب التأويل.

٢ – التحرر من قيد النص المقدس؛ ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح اللفظ وبين ما يقتضيه العقل.

٣ – الرغبة في تعميق صريح النص المقدس الساذج؛ ابتغاء مزيد من العمق في الآراء التي يحتويها. ومن هذه الدواعي يتبين أن ما يُلجئ إلى التأويل هو الاضطرار إلى الأخذ بنص يعد مقدسًا، أو مقيدًا. ولولا هذا لما كان ثمة أي داع إلى التأويل.

ولهذا كانت عملية التأويل قائمة دائمًا هناك؛ حيث يضطر الانسان إلى الأخذ بنص، ومن هنا لم يقتصر الأمر على الكتب المقدسة، بل امتد إلى النصوص القانونية، وإلى الآثار الأدبية حين تصبح ذات سلطة. (بدوي،٢٠٠٥، ٧٥٤؛ الشيبي، د، ت، ٤١٠).

وفي هذا الصدد يقول البغدادي:"... أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم"، فالباطنية ليست مذهبا إسلاميا أو فرقة من فرق أهل الإسلام، وإنما هي مذهب وطريقة أراد بها واضعوها هدم الإسلام وإبطاله عقيدة وشريعة، كما ذكر ذلك الإمام الغزالي في كتابه "فضائح الباطنية".(٢٠٠٥، ٢١١).

البابكية وبشأن البابكية فإن البغدادي وغيره من مؤرخي الملل والنِحل يعدهم من صنف فرق الإباحة من الخُرَّمية، وهم صنفان: صنف كانوا قبل مجيء الإسلام وهم المزدكية، أصحاب مزدك الذي قتله الملك الفارسي كرى أنوشيروان عام٥٢٩م، والصنف الثاني: وهم الخرمدينية الذين ظهروا بعد الفتح الإسلامي للهضبة الايرانية، وهم فريقان:بابكية، ومازيارية، وكلتا الفرقتين معروفة بالمحمرة. فالبابكية هم أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في جبل البدين بناحية أذربيجان، وكثربها أتباعه، واستباحو المحرمات، وقتلوا الكثير من المسلمين، الى أن تم القضاء عليهم بعد أكثر من عشرين على سنة على انطلاق حركتهم. (البغدادي، ٢٠٠٥، ١٩٩ – ٢٠٠).حركة بابك ضد الخلافة العباسية وفي سنة٢٠١هـ/ ٨١٦م تحرك بابك الخرمي(١١) في منطقة الجاويذانية وهم أصحاب (جاويذان بن سهل) صاحب البذ(١٢)، وادعى بابك أن روح جاويذان قد حلت فيه، وشرع في الإفساد في الارض عن طريق شن الغارات وقتل الناس. (السبط، ٢٠١٣، ١٣/ ٣٧٠).وفي سنة٢٠٥هـ/ ٨٢٠م عين الخليفة المأمون: عيسى بن محمد بن أبي خالد واليا على أرمينية وأذربيجان، وأمره بالتصدي لحركة بابك. (السبط، ٢٠١٣، ٤٢٣/١٣).وفيها: نصب الخليفة المأمون: (صدقة بن علي) الْمَعْرُوفَ بِزُرَيْقٍ أرمينية وأذربيجان؛ واليًا على أرمينية وأذربيجان؛ لمحاربة بابك، وندب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد الْإِسْكَافِيَّ، فقرر أمره، ورجع أحمد الى بغداد، وحارب صدقة بابك، فأسره الاخير، فولى المأمون مكانه ابراهيم بن الليث بن الفضل. (السبط، ٢٠١٣، ٥٥/١٤)، وعند الطبري:" ثم رجع أحمد الى بغداد، ثم رجع الى الخرمية، فأسره بابك...". (الطبري، ٦٠١/٨؛ ابن الجوزي، ١٩٨/١٠).وفي سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م اشتدت شوكة بابك، فأغارعلى البلاد، فبعث إليه المأمون محمد بن حُميد الطوسي؛ لمحاربته. (السبط، ١٢٢/١٤).وفي سنة٢١٨هـ دخل جماعةُ من أهل أصبهان وهَمَذان والمناطق المجاورة لهما (إقليم الجبال) في دين بابَكَ الخُرَّمي؛ فاستباحو الحرمات، فبعث إليهم الخليفة المعتصم إسحاق بن إبراهيم والي بغداد في جندٍ كثيف فأوقع بهم في ذي الحجة، فقتل منهم ستين ألفًا، وهرب الباقون الى المناطق الاخرى طلبًا للامان. (السبط، ١٧٨/١٤)، ويبدو للباحث أن هناك مبالغة في عدد قتلى الخرمية.وفي سنة٢٢٠هـ/٨٣٥م عين المعتصم الأفشين واسمه: (حيذر بن كاوس)(١٣)، (وفيات الأعيان (٥/ ١٢٣) قائدًا لمنطقة الجبال بغية السيطرة على قلعة البَذّ المقر الرئيسي لبابك الخرمي، وعقد له على الجبال لمحاربة بابك الخرمي الذي استفحل أمره وزاد فساده، وكان مقره في قلعة البَذّ، ومنحه مبلغ عشرة آلاف درهم، ويوم لا يحارب خمسة آلاف درهم، فسار الأفشين إلى قتاله، فنزل برزند وبنى الحصون التي خربها بابك فيما بين أَرْدَبِيل(١٤)،

وبرزند(١٥)، وخندق على نفسه، وبثَّ الجنود للفصل بينه وبين بابك.(السبط، ٢٠١٣، ٢٤٦/١٤).وكان الخليفة المعتصم قد بعث بمال كثير مع أحد قادته (بغا الكبير) إلى الأفشين؛ لدعم جهوده في محاربة بابك ولكي يوزعه على الجند، فوصل إلى أردبيل، وبلغ بابك، فخرج؛ ليقطع عليه الطريق، وبلغ الأفشين، فكتب إلى بغا يطلب منه أن يقيم بمدينة أردبيل ولا يغادرها حتى تصله التعليمات، وطلب منه أبان يظهر للناس بأنه في طريقه إلى مدينة برزند؛ لذا عليه أن يهيئ الاموال على الإبل، والابتعاد عن أردبيل مسافة فرسخين (١٢ كم)، ثم الرجوع مرة ثانية في الليل إلى أردبيل، وكان الأفشين يقصد بذلك: أن يكون بابك على علمٍ بخروج بغا فيقصده، وبالفعل عندما علم بابك بخروج بغا من اردبيل تحرك نحوه؛ على أمل الحصول على المال، وسار الأفشين في ذلك اليوم يريد اردبيل هو الآخر، ولم يعلم بابك بتحركه، وقد فاته المال، فقاتل أحد حصون المسلمين المنبثة في تلك المنطقة، ووضع له كرسي، وقعد يشرب الخمر على عادته، وكان الهيثم أحد قواد الأفشين قد التجأ إلى هذا الحصن في ٤٠٠ فارس و٦٠٠ راجل، وحفر خندقاً حول الحصن، فطلب منه بابك أن يترك الحصن بغية هدمه، فلم يفعل، وكان الأفشين على بعد أقل من فرسخ(٦ كم) من الحصن، ولم يعلم به بابك، وبلغ الأفشين الخبر، فسار لا يلوي على شيء، فرأى بابك على الحصن جالسًا على الكرسي كعادته يشرب الخمر، وبين يديه الطبول والزمور والبغايا، فلم يتحرك بابك، وجرى قتال بينهم، وحمل الأفشين بنفسه، فقتل الكثيرين من رجال بابك وأفلت بابك وحده في نفر يسير إلى مُوقان(١٦)، ثم عاد إلى مقره في البَذّ، وبعث الأفشين برؤوس القتلى والأسرى إلى الخليفة المعتصم في سامراء. (السبط، ٢٠١٣، ٢٤٦/١٤ – ٢٤٧).وفي سنة٢٢١هـ/٨٣٦م جرت معركة عظيمة بين بابك وبغا الكبير؛ وذلك لأن بغا لما جاء بالمال للأفشين خرج بدون علم الاخير، قاصداً البذ المقر الرئيسي لبابك، والأفشين مستقر بمقره في برزند، وبابك كذلك هو الآخر كان غائباً عن مقره، فدخله بغا بصورة مفاجئة وأقام به يومًا، فهجم عليه مقاتلوا بابك فقتلوا معظم جنوده واستباحوا عسكره، فتحصن بغا ببعض المناطق الاخرى؛ املًا في وصول النجدات إليه، وأرسل إلى الأفشين يطلب منه المساعدة؛ لإنقاذ الموقف، سيما وأنه خالف أوامره، ولم يخبره بخروجه، فجهز إليه جيشًا مع أخيه (الفضل بن كاوس) واتفق معه على موعدٍ بعينه يلتقيان فيه، وسار الفضل إلى بغا، وخرج الأفشين بعده، وجاءهم بابك فالتقوا، فانتصر عليه الأفشين، فهزمه وغنم معسكره وخيامه، وانهزم بابك، وفي رواية: إن بغا لم يحضر هذه المعركة؛ لانه اختلف مع الافشين في الوقت والمكان المناسبين. (السبط، ٢٠١٣، ٢٥٩/١٤).وفي سنة٢٢٠هـ/٨٤٤م أمد المعتصم الأفشين بالأموال؛ وسير إليه مع إيتاخ وجعفر بن دينار مبلغًا يقدر بثلاثين ألف ألف درهم (ثلاثون مليون درهم)؛ لتغطية نفقات الجند، وعلم بابك بهذا الامر، فأرسل (آذين) أحد قواده إلى أصحاب الأفشين فاشتبك معهم، وكان آذين شجاعًا، فلما عزم على المسير؛ ترك عياله وأهله وأمواله على رأس جبل حصين، فطلب منه بابك بأن يدخِلَهم الحصن، فقال: "لا أكون مثل هؤلاء اليهود – يعني: المسلمين – يقاتلون من وراء الحصون والخنادق". (السبط، ٢٠١٣، ٢٦٦/١٤)وسار أصحاب الأفشين إلى كلان رُوذ(١٧)، وعلى مقدمتهم قائده: (أبو سعيد)، وأردفه الأفشين بقوة أخرى، فبعث أبو سعيد جماعة من وراء الجبل الذي عليه عيال آذين من مضيق هناك، فأسر بعض أفراد أسرته وعطف عليهم آذين، فقاتلهم فانكسر ولم يستطع إنقاذهم، فأخذوا بعض أفراد أسرته الى مقر إقامة الأفشين. (السبط، ٢٠١٣، ٢٦٦/١٤).وفي سنة٢٢٢هـ/٨٣٧م فتحت قلعة البَذّ، أي: عاصمة بابك في يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان، وسياق الحديث: أن الأفشين كان يقترب منها شيئًا فشيئًا، فتضجَّر الناس من التعب والإجهاد وطول المعركة؛ وقالوا للافشين: كم تقعد هاهنا، وبيننا وبين العدو مسافة يسيرة؟ وكان بينهم أربعة فراسخ(٢٤كم)، وقالوا للأفشين: قد استحينا من الناس، فاقدم بنا، فإما لنا وإما علينا؛ فسار إلى الجبال التي فيها البذ، فأحدق بها، ورتب العساكر والرجالة، وأنفق الأموال، وفرق العدد، وصير العساكر كراديس كراديس، وأتاه رسول بابك ومعه قثاء وبطيخ وخيار، يخبره أنه في أفضل عيش، وأن الأفشين وأصحابه في أضيق عيش، فقال لرسول بابك: بأنه قد عرف مرامه، وكان الأفشين في تلك المدة قد حفر ثلاث خنادق، وأقام عليها الرجال بالعدد؛ خوفاً من الهجمات المفاجئة، فدار الرسول على معسكر الافشين فشاهد شيئًا لم ير مثله قط، فعاد فأخبر بابك بما رأى.أما الأفشين فقد تحرك على رأس جنوده فحاصروا البذ معقل بابك؛ فأرسل بابك يطلب الأمان من المعتصم على نفسه وأفراد أسرته، فأرسل الأفشين إلى المعتصم بخبره، والقتال جارٍ بينهم إلى العاشر من شهر رمضان سنة٢٢٢هـ، فهجم المسلمون على مدينة بابك، فأحرقوها وقتلوا وسبوا، وأفلت منهم بابك مع نفر يسير إلى غيضة هناك، فاختفى فيها، وجاء كتاب المعتصم بأمانه، وكان قد أسر الأفشين ولد بابك وأصحابه، فقال لهم: هذا ما لم أكن أرجوه من أمير المؤمنين لبابك، فليذهب بالأمان منكم رجلان وكتب معهما ولد بابك يقول له: صر إلى الأمان فهو خير لك، فلما وصلا إلى بابك قتل أحدهما، وقال للآخر: اذهب إلى ابن الفاعلة – يعني: ابنه – وقل له : لو كنت ابني للحقت بي، ثم خرق الأمان، وخرج من ذلك المكان، وطلع إلى الجبل

يطلب طريقاً يعرفها للهرب، وقد أقام له الأفشين الكمائن؛ فأفلت إلى جبال إرمينية، فالتقى برجل أرمني، يقال له: سهل البطريق، فقال له: الطلب وراءك؛ فانزل حتى يسكن الطلب، فنزل عنده، وبعث الأرمني إلى الأفشين فأعلمه، وقال: أبكروا علينا، وقال لبابك: هذا كان معمور، فاركب بنا غداة غد نتنزه في هذا الوادي، فركب وجاء أصحاب الأفشين فأخذوه، وكان المعتصم قد جعل لمن جاء به حيًّا: ألفي ألف درهم (مليوني درهم)، ولمن جاء برأسه ألف درهم (مليون درهم)، وأخذ بابك وأخوه أسيرين، فأتي بهما إلى الأفشين، فطيفا في قلعة البذ حتى رأيا القتلى والحريق والهدم، وقد مثلوا بقصورهم. (السبط، ٢٠١٣، ٢٦٨/١٤).وفي رواية أخرى: أن بابك لما رأى جند الأفشين قد سيطروا على قلعة البد، خرج في جماعة من أتباعه يسأل عن الأفشين، وأخبر الأفشين، فركب واقترب، فقال له بابك: أريد أماناً من أمير المؤمنين، فقال له الأفشين: قد عرضت هذا عليك غير مرة، وهو لك متى شئت فقال: قد شئت الآن على أن تؤجلني أجلاً أحمل فيه عيالي وأتجهز، فقال له الأفشين: قد نصحتك غير مرة، وخروجك اليوم خير من خروجك في غد، فقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، وأنا على ذلك، فقال له الأفشين: فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك عنهم. قال: نعم، أما فلان وفلان؛ فإنهم على رأس ذلك الجبل، فاطلب من جندك بأن يوقفوا الهجوم، فجاء رسول الأفشين؛ ليرجع الناس، فوجد أعلام المسلمين قد دخلت البلد وصعدت على قصور البلد، وكانت أربعة قصور فيها ٦٠٠ رجل، فخرجوا فقاتلو أصحاب الأفشين، وانشغل أصحاب الأفشين بالحرب، واستطاع بابك أن يفلت بواسطة هذه المكيدة التي انطلت على الافشين حتى دخل واديًا في مضيق، وقاتل جنود الأفشين، ونصبوا السلالم على القصور وأحرقوها، وقتلوا ٦٠٠ رجل من أتباع بابك؛ الذين كانوا قد تحصنوا بتلك القصور، ورجع الأفشين إلى خندقه، وصعد أصحاب بابك من الوادي في الليل، وأخذوا من الميرة ما أمكنهم حمله ومن الأموال، وعاد الأفشين من الغد إلى البذ، لكي يتمم خرابه وحرقه ونهبه، وأفلت بابك إلى إرمينية، فكتب الأفشين إلى ملوكها يأمرهم بحفظ الطرقات ونصب الكمائن؛ لإلقاء القبض على بابك؛ فإنه اختفى في وادٍ كثير الشجر، وطاف الجنود حول الوادي ووقفوا على المضائق، وورد في تلك الحال كتاب الخليفة المعتصم، مكتوب بالذهب، وفيه: أمان بابك، وبعث به الأفشين إليه، فقتل أحد الرجلين، وشتم ابنه على ما ذكره السبط في الرواية الأولى، وقال بابك للرسول الآخر: " يا ابن الفاعلة، ما أنت بابني، لو كنت ابني لعشت يوماً واحداً رئيسًا خير من أن تعيش أربعين سنة عبدًا ذليلًا".(السبط، ٢٠١٣، ٢٦٨/١٤).ثم سار بابك بطريق غير مطروق حتى وصل الى الجبال الارمنية ومعه أتباع قليلون، فجاع وكان ملوك إرمينية قد أنذروا به، فبينما هو يسير إذا بفلاح يحرث في بعض الأودية، فقال لغلامه: خذ دراهم ودنانير وانزل إلى هذا المكان، فإن كان عنده خبز فاشتر منه، فنزل الغلام إليه، وأعطاه الدنانير، وطلب منه خبزًا، وكان للفلاح شريك واقف من بعيد ينظر ما يجري بينهما، وكان على حماية ذلك الطريق رجل أرمني، يقال له: سهل ابن سنباط، فجاء شريك الفلاح فأخبره بالخبر، فجاء سهل إلى خادم بابك فقال له: من أنت فأخبره، فقال: وأين مولاك ؟ فأشار إليه فصعد سهل إلى الجبل، فرأى بابك فعرفه، فنزل وقبل يده وقال: يا مولاي إلى أين تريد؟ فسمَّى مكانًا، فقال: انزل عندي في صحبي حتى ترى رأيك؛ فأنا عبدك ولا بأس عليك، وكل من هاهنا من البطارقة عبيدك، وقد صار لك منهم أولاد، وكان بابك إذا علم أن عند بعض البطارقة ابنة جميلة، أو أخت بعث إليه وطلبها منه؛ فإن بعث بها إليه وإلا قتله، وأخذها منه بالقوة. (السبط، ٢٠١٣، ٢٦٨/١٤).وكان بابك قد ناله من الجهد والجوع الشيء الكثير، فأقام في ضيافة سهل الارمني، وأرسل سهل إلى الأفشين، فأرسل مجموعة من الجند، تمكنوا من أسر بابك في الوادي، فتم حبسه وأخاه، وكتب الافشين إلى المعتصم بالخبر، فأمره المعتصم أن يأتي به إلى بغداد. (السبط، ٢٠١٣، ٢٦٨/١٤).وفي سنة٢٢٣هـ/ قدم الأفشين ببابك وأخيه الى مدينة سر من رأى (سامراء) عاصمة الخلافة العباسية، حيث تم عرضه على المعتصم في ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر صفر عام٢٢٣هـ، وكان المعتصم يبعث إلى الأفشين منذ فصل عن موقعه في برزند، إلى وصوله الى سامراء: كل يوم بفرس وخلعة، ولعناية المعتصم بأمر بابك رتّب البريد من سُرَّ من رأى إلى الأفشين، فكان الخبر يصل إليه في كل أربعة أيام وأقلّ، وكانت خيل البريد تركض ركضًا، ولما وصل الأفشين إلى سُرَّ من رأى، أنزل بابك بقصر بالمطيرة، فلما كان في جوف الليل جاء (ابن أبي دؤاد) متنكرًا فرآه، ثم رجع إلى المعتصم فأخبره، فلم يصبر المعتصم حتى ركب في الليل ودخل عليه متنكرًا، فرآه وتأمله، وبابك لا يعرفه. (السبط، ٢٠١٣، ٢٧٠/١٤).وفي سنة٢٢٤هـ/ غزا المعتصم بلاد الروم وفَتَحَ عَمُورِيَة، والسبب في ذلك؛ أن الأفشين لما ضيق على بابك؛ كتب الاخير إلى امبراطور الروم (توفيل بن ميخائيل بن جورجس) يقول له: "ما يقعدك عن ملك العرب (خليفة المسلمين) وعن البلاد؟ وقد وجه إلى جميع عساكره ومقاتلته ومواليه وخواصه، حتى قد بعث إليَّ بخياطه جعفر بن دينار، وطباخه يعني: إيتاخ، ولم يبق على بابه أحدًا، فاخرج؛ فليس في وجهك من يمنعك". (السبط، ٢٠١٣، ٢٧٠/١٤).وكان قصد بابك: أن يتحرك ملك الروم؛ فينكشف عنه بعض ما هو فيه؛ برجوع بعض العساكر

عنه". (السبط، ٢٠١٣، ٢٧٠/١٤).ويظهر للباحث: أن جل العمليات العسكرية التي جرت بين بابك الخرمي، والجيوش العباسية جرت في إقليم أذربيجان، وكانت هذه المنطقة في تلك الحقبة مليئة بالكرد، وقد انضم بعض الكرد الى هذه الحركة ولم يتطرق إليه السبط، حيث انضم الى الحركة (عصمت الكردي)، والدليل على ذلك: أن البلاذري أشار الى كردية هذه المنطقة في كتابه القيم: "فتوح البلدان".

الخلاصة

من خلال النظر الى فرقة الخوارج بجميع فرقها والباطنية وتحديداً ما يخص موضوع بحثنا حركة بابك الخرمي، فإن السبط لم يوفي موضوع الخوارج بما فيه الكفاية؛ لأنه تطرق فقط الى بعض حركاتهم وتحديدًا في أخريات العهد الاموي.أما بشأن حركة بابك الخرمي فلم يذكر بداية ظهور الحركة الخرمية، وكيف أن البابكية هي امتداد لها، وأن الخرمية هي امتداد للديانة المزدكية التي ظهرت في أيام الدولة الساسانية الفارسية في عهد الملك قباد، وأن نجله كسرى أنوشيروان قضى على هذه الديانة أو الحركة عام ٥٢٩ – ٥٣٠م، وأن بعض أفكارها بقيت مختفية في إقليم الجبال معقلها الرئيسي الاول، وظهرت الى العيان في بداية العصر العباسي في خلافة أبي جعفر المنصور، ثم تطورت لاحقًا في عهد المأمون واستفادت من الصراع الذي جرى بينه وبين أخيه الامين، حيث انشغلت الخلافة العباسية لسنين طوال بهذا الصراع وتركت الحبل على الغارب لهذه الحركات الهدامة والباطنية بالنمو شيئًا فشيئًا، الى أن حدث ما حدث ولم تستطع الدولة القضاء على بابك الخرمي إلا بعد مضي أكثر من عشرين سنة.

قائمة الهوامش

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٢٠٠)، رقم (٣٦١٠)؛ صحيح مسلم (٢/ ٧٤٤)، رقم ١٤٨ – (١٠٦٤).

(٢) وهذا أبلغ دليل لدى الخوارج على أنهم يعدون جميع المسلمين سواسية فلا فرق بين عربي ولا عجمي في الامساك بسدة الحكم، وهم في هذا يخالفون أكثرية المذاهب الاسلامية التي تؤكد على قرشية الخليفة، أي بعبارة أخرى: أنهم جمهوريون.(عمارة، ١٩٨٤، ١٠٤ – ١٠٦).

(٣) خُناصِرَةُ: بليدة من أعمال حلب تحاذي قنّسرين نحو البادية. ياقوت، ١٩٩٥، ٣٩٠/٢.

(٤) يظهر أن سبب هذه هو أن والدة خالد القسري كانت نصرانية.

(٥) لم يحدد السبط موقع الدير، وإنما جعل موقعه فضفاضا بين الجزيرة والموصل، وما أكثر أديرة النصارى في تلك المنطقة.

(٦) حران: وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. (ياقوت، ١٩٩٥، ٢/ ٢٣٥).

(٧) كفر توثا: ضم التاء المثناة من فوق، وسكون الواو، وثاء مثلثة، قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراسخ، (٣٠ كم) وهي بين دارا ورأس عين ينسب إليها قوم من أهل العلم، وهي أيضا من قرى فلسطين، وكان حصنا قديما فاتخذها ولد أبي رمثة منزلا فمدنوها وحصنوها. ياقوت، ١٩٩٥، ٤٦٨/٤.

(٨) الكراديس: الكُرْدُوس: الْخَيْلُ الْعَظِيمَةُ، وَقِيلَ: القِطْعة مِنَ الْخَيْلِ العظيمةُ، والكَرادِيسُ: الفِرَق مِنْهُمْ. وَيُقَالُ: كَرْدَسَ الْقَائِدُ خَيْله، أَي: جَعَلَهَا كَتِيبة كَتِيبة. ابن منظور، ١٤١٤، ١٩٥/٦.

(٩) السِّنّ: بكسر أوّله، وتشديد نونه، يقال لها سنّ بارمّا: مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وفي أهلها علماء وفيها كنائس وبيع للنصارى، وعند السنّ مصبّ الزاب الأسفل. ياقوت، ١٩٩٥، ٢٦٨/٣.

(١٠) بَلَدُ: بالتحريك، وبلد في مواضع كثيرة، ... وبلد: وربما قيل لها: بلط، بالطاء، وهي: مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل. ياقوت، ١٩٩٥، ٤٨١/١؛ (عبد الله، ١٣،١٩٧٤).

(١١) بابك الخرمي: بابك الخرمي، كان من الثنوية على مذهب ماني ومزدك، ويقول بالتناسخ، ويرى تحليل البنات والأمهات والأخوات، وليس له أصل يرجع إليه. السبط، ٢٠١٣، ٢٨٣/١٤ – ٢٨٤؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار التراث العربي د.ت)، ج ٩، ص٥٤؛ الكرديزى، ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود: زين الاخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان (القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦م)، ص ١٣٤؛ البلخي: البدء والتاريخ، ص٢٩٨.

(١٢) قلعة البذ: كورة بين أذربيجان وآران كثيرة الضباب قلما تصحو السماء بها، منها كان مخرج بابك الخرمي أيام المعتصم بالله (القزويني، د، ت، ٥١١).

(١٣) واسمه خيذر – بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء – وإنما قيدته؛ لأنه يتصحف على كثير من الناس بحيدر، بالحاء المهملة. ابن خلكان ١٢٣/٥.

(١٤) أَرْدَبِيلُ: بالفتح ثم السكون، وفتح الدال، وكسر الباء، وياء ساكنة، ولام: من أشهر مدن أذربيجان. ياقوت، ١٩٩٥، ١٤٥/١.

(١٥) برزند: بلد من نواحي أرمينية، أول من عمرها الأفشين جعلها معسكراً له، وكانت من قبله خرابة. ياقوت، ١٩٩٥، ٣٨٢/١.

(١٦) مُوقانُ: بالضم ثم السكون، والقاف، وآخره نون، وأهله يسمّونه موغان، بالغين المعجمة، وهي عجمية، ويجوز أن يجعل جمعا للموق وهو الحمق: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرّعي فأكثر أهلها منهم، وهي بأذربيجان. ياقوت، ١٩٩٥، ٢٢٥/٥.

(١٧) كَلانْ رُوذ: معناه النهر الكبير: وهو بأذربيجان قريب من البذّ مدينة بابك نزله الأفشين لما حارب بابك. ياقوت، ١٩٩٥، ٤٧٥/٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

ابن أعثم الكوفي، أبو محمد بن احمد،

١. كتاب الفتوح، حيدر آباد الدكن – الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف الاسلامية، ١٩٨٦م.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري،

٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،

٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤. تلبيس إبليس، تحقيق: السيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي،١٩٨٥م.ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني،

٥. مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.ابن حزم الاندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري،

٦. الفصل في الملل والاهواء والنحل، تحقيق:محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي،

٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.ابن طاهر المقدسي، المطهر،

٨. البدء والتاريخ، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم،

٩. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م.ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى،

١٠.لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.ابن مهلهل، أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي،

١١.الرسالة الثانية، اعتنى بنشرها: مينورسكي، القاهرة، ١٩٥٥م.الأشعري، ابو الحسن علي بن إسماعيل،

١٢.كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د، ت.

البغدادي، ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمح،

١٣.الفرق بين الفرق، حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٥م.

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود،

١٤.جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٥.فتوح البلدان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي،

١٦.معجم البلدان، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.الدهلوي، شاه عبد العزيز الامام ولي الله احمد عبدالرحيم،
١٧.مختصر التحفة الاثني عشرية، تعريب: غلام محمد بن محمد بن محي الدين بن عمر الاسلمي، اختصره وهذبه: محمود شكري الآلوسي، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، الرياض –-المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ١٤٠٤هـ.الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين
١٨.اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المحقق: علي سامي النشار، بيروت، دار الكتب العلمية.الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم،
١٩.الملل والنحل، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٩م.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر،
٢٠.تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، بيروت، دار التراث، ١٣٨٧هـ.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي،
٢١.فضائح الباطنية، المحقق: عبد الرحمن بدوي (القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦٤م. القزويني، أبو عبدالله زكريا بن محمد،
٢٢.آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د، ت.الكرديزى، ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود،
٢٣.زين الاخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان (القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦م). الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري،
٢٤.الاحكام السلطانية، الكويت دار مكتبة ابن قتيبة، ٢٠٠٨م.المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس،
٢٥.الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على،
٢٦.مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، قم، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر،
٢٧.تاريخ اليعقوبي، علق عليه: خليل منصور، مطبعة مهر، ١٤٢٥هـ.سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله،
٢٨.مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق: محمد بركات، وجماعة، دمشق، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

ثانيا: المراجع

إسماعيل، فرست مرعي،
٢٩.الإمارات الكردية في العصر العباسي الثاني، دهوك، دار سبيريز، ٢٠٠٥.
٣٠.دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كوردستان، إربيل، دار ئاراس،٢٠٠٨م.البير أبونا،
٣١.تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الاسلام، بيروت، دار المشرق، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م. الدجيلي، محمد رضا حسن،
٣٢.فرقة الازارقة – دراسة تأريخية تبحث في أصول هذه الفرقة وتطورها، النجف الاشرف، مطبعة النعمان، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.الريس، محمد ضياء،
٣٣.الدين النظريات السياسية الاسلامية، القاهرة، دار مكتبة التراث، ١٩٧٦م، الطبعة السابعة.الشيبي، كامل مصطفى،
٣٤.الصلة بين التصوف والتشيع (النزعات الصوفية في التشيع)، بيروت، دار الاندلس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.الطالبي، عمار،
٣٥.آراء الخوارج، الاسكندرية، المكتب المصري الحديث، ١٩٧١م.النجار، محمد طيب،
٣٦.الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٧م.بدوي، عبد الرحمن،
٣٧.مذاهب الإسلاميين، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٥م.ابو هلال، محمد،
٣٨.جدل السياسة والدين والمعرفة، بيروت – لبنان، جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١١.حمادي، محمد جاسم،
٣٩.الجزيرة الفراتية والموصل، بغداد، دار الرسالة، ١٩٧٧م.عبد الحميد، عرفان،
٤٠.دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م.عبد الرحمن، محيي الدين،عطا

٤١. حركات الخوارج في بلاد الكرد وما جاورها، السليمانية، مركز الدراسات الكردية (كوردولوجي)، ٢٠٠٧م.عمارة، محمد،
٤٢. الخلافة ونشأة الاحزاب الاسلامية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.كولدزيهر، أجنتاس،
٤٣. العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله الى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وزملائه، القاهرة، دار الكاتب المصري، ١٩٤٦. لسترنج كي،
٤٤. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.معروف، نايف
٤٥. الخوارج في العهد الاموي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م/ ١٤٠٦هـ.يحيى، احمد،
٤٦. الخوارج طليعة التكفير في الاسلام،(رسالة في الرد على المسائل الإباضية)، تحقيق : إمام حنفي سيد عبدالله، القاهرة، دار الافاق العربية، ٢٠٠٢م.